تواصل
مؤسسة تواصل للدراسات والتوعية الثقافية

ERTC
The Egyptian Research and Training Center

المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية

المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية

مجلة علمية نصف سنوية - محكّمة

ISSN: 2682 - 2725

استطلاعات الرأي نحو المخاطر العالمية وقدرة الأفراد على الصمود
جولي راي

الاتجاهات البحثية الحديثة في مجال علم الاجتماع الصناعي وآفاقه المستقبلية
دينا مفيد على حسن

الوظيفة الاجتماعية للحارة المعاصرة: دراسة في سوسيولوجيا المكان
فاطمة الزهراء علي أمين

الأوضاع المعيشية في النوبة الجديدة بين عوامل الاستقرار ودوافع العودة
أحمد عبد الموجود الشناوي

الوعي المجتمعي بدور التحول للاقتصاد الأخضر في مواجهة التحديات البيئية: دراسة ميدانية
شيماء عبد العزيز عبد الباسط

دور المرأة في تعزيز الأخذ بالثأر في ممارسات الحياة اليومية
أميرة رمضان محروس إبراهيم

العلاقات الجنسية داخل العالم الافتراضي: دراسة ميدانية على عينة من الشباب بالقاهرة الكبرى
رحاب محمد عبدالحي عبدالخالق

عرض كتب Book Review
أسماء فريد الرجال - خالد عبد الفتاح عبد الله

حوار الأجيال د.عبدالله عسكر
المحاور: وائل حسن يوسف

المحرر
د. محمد أبو العينين

رئيس التحرير
د.عبد الحميد عبد اللطيف

العدد السابع
ابريل ٢٠٢٣

دور المرأة في تعزيز الأخذ بالثأر في ممارسات الحياة اليومية

أميرة رمضان محروس إبراهيم

مدرس مساعد علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة القاهرة

الملخص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تؤديه النساء في تعزيز الثأر في مواقف الحياة اليومية، التي تدعم ثقافة ظاهرة الثأر وبنيتها في صعيد مصر. واعتمدت الدراسة على النظرية النسوية، ونظرية التمثيل المسرحي لجوفمان، والهابيتوس لبيربورديو. اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي، باستخدام طريقة دراسة الحالة، واستخدمت أداة دليل المقابلة المتعمقة. أجريت الدراسة على عينة عمدية بلغ حجمها (١٥) مشاركة من النساء المنتميات إلى عائلات ذات خصومة ثأرية بصعيد مصر. وتوصلت الدراسة إلى أن النساء وليات الدم في صعيد مصر هن المحرك الأول والأساسي في حوادث الثأر؛ فالنساء يعززن الثأر من خلال ممارسات الحياة اليومية، وبطرائق خفية متكررة وملزمة من وراء الكواليس. تنفيذ الثأر حكر على الرجال وتعزيزه حكر على الإناث. رفض النساء الاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية ومراسم الزفاف في أثناء الأخذ بالثأر وبعده. تعزز النساء الأخذ بالثأر من خلال الملابس، والطعام، وغيرها من مواقف الحياة اليومية. تجيد المرأة في الصعيد وخاصة وليات الدم استخدام عناصر الثقافة الشعبية وتطوعها للتحريض على الثأر، فتستخدم الأمثال الشعبية على القتيل لتشعل من حمية رجال العائلة لسرعة أخذ حقه.

الكلمات الدالة: الثأر – القتل – العنف – الأخذ بالثأر – مواقف الحياة اليومية.

The Role of Women in Promoting Revenge in The Everyday Practices

Amira Ramadan Mhrous Ibrahim

Assistant Lecturer of Sociology, Faculty of Arts, Cairo University.

Abstract

The study aims to identify the role that women play in promoting revenge in daily life situations, which supports the culture and structure of the phenomenon of revenge in Upper Egypt. the study employed feminist theory, Goffman's dramaturgical model of social life, and Pierre Bourdieu's habitus theory. Moreover, the study used the anthropological approach, the case study method, and the in-depth interview tool. It was conducted on a deliberate sample of (15) participants, women from families with feuds in Upper Egypt. The study found that Women and blood relatives in Upper Egypt are the first and primary movers in the incidents of revenge. Women promote revenge through daily life practices and in a subtle, frequent, obligatory way behind the scenes. Revenge is the preserve of men, and its implementation is restricted to women. Women refuse to celebrate religious occasions and wedding ceremonies and promote revenge through clothing, food, and other everyday situations. Women in Upper Egypt, especially blood relatives, are good at exploiting elements of popular culture to instigate revenge. Thus, they use famous proverbs about the dead man to ignite the family men to take his right quickly.

Keywords: Revenge; Murder; Violence; Taking Revenge; Everyday Situations

مقدمة:

إنَّ فهم السلوك الإنساني عمومًا وتفسيره، والسلوك الإجرامي خاصة، من القضايا المهمة والبينية التي تناوبت عليها علوم كثيرة. من المعروف أن سلوك الإنسان يتأثر بعددٍ هائل من العوامل: الفيزيقية، والفسيولوجية، والوراثية، والبيئية، والتاريخية، والجغرافية، والسيكولوجية، والاجتماعية، والثقافية. ومع بدايات عصر النهضة وتبلور الرؤية العلمية في دراسة الوقائع الطبيعية والإنسانية؛ انتزع السلوك الإنساني اهتمام العلماء، وجاء نمط السلوك الإجرامي في مركز هذا الاهتمام نظرًا إلى خطورته وإثارته لشغف الفهم من منظور علمي وعملي (أنتوني جيدنز، ٢٠٠٦: ٢٧ -٢٩).

يعد الثأر نوعًا من الانتقام تنظمه أعراف محلية ترتبط بأبنية قبلية وقرابية، ويهدف إلى رد اعتبار القبيلة أو العائلة أو المجموعة القرابية، ويكون تطبيق هذه الأعراف صارمًا إلى حد استهجان من ينكرها أو يناهضها من أبناء المجموعة القرابية. وينظر إلى القتل ثأرًا على أنه جريمة يعاقب عليها القانون؛ إلا أن علماء الاجتماع ينظرون إلى العداوة التي ترتبط بسفك الدماء أنها تتخذ شكلًا بنائيًّا بين جماعتين قرابيتين أو مجتمعين (أحمد زايد، ٢٠٠٤: ٩٣٥). فجريمة الثأر جريمة قديمة عميقة الجذور في صعيد مصر بصفة خاصة، ويرجع ذلك إلى أسباب التكوين الاجتماعي والبيئي لصعيد مصر، حيث سهولة الحصول على السلاح، فيندر أن نجد شخصًا لا يقتني سلاحًا يحميه، فربما يتهاون الفرد في طعامه وملابسه وصحته في الصعيد، ولكنه لا يتهاون في شراء السلاح، وكذلك تنبع القوة المحركة لجريمة الثأر من الضغوط الشديدة على ولي الدم من جانب أهله وعشيرته، خاصة عندما يُضغط عليه من جانب والدته/ زوجته/ أخته/ ابنته، حتى يقتص من القاتل وإلا لحقهم العار، وصاروا مسارًا للسخرية والتهكم (مجدي أحمد، ٢٠٠٣: ١٩).

ومع هذا من يفتش عن المرأة في صعيد مصر يجد لها دورًا في الخلافات الأسرية والعائلية على وجه عام، وحوادث الثأر على وجه خاص. فهي تؤدي دورًا مهمًّا ورئيسيًّا في حوادث القتل وسفك الدماء التي تقع من أجل شرف العائلة واستعادة هيبتها. ينبع دور المرأة في بنية الثأر خاصة من مواقف الحياة اليومية من البنية التراتبية الهرمية السائدة في صعيد مصر، التي تعبر عن وجود طرف أعلى هم الرجال، وطرف أدنى هم النساء، وتعكس محاولة من التمرد والمقاومة من جانب الطرف الأضعف لفضح كل أشكال القهر والاستبعاد الذي وقع عليهن من الطرف الأقوى، لتعلن ضمنيًّا عن رد اعتبارها، وإعادة كل أشكال السلطة إلى يديها من جديد.

أولًا- إشكالية الدراسة:

تمثل مشكلة العنف واحدة من أخطر المشكلات التي أضفت على مسيرة الإنسانية بُعدًا كريهًا؛ فكثيرًا ما تسببت في فظائع وآلام تقشعر لها الأبدان، وتظهر الإنسان في صورة وحشية، تعرقل

صورته المنشودة بوصفه كائنًا عاقلًا، يسعى إلى العمران لا التدمير والفتك بأخيه الإنسان (فتحي عبد السميع، ٢٠١٥: ٩)، كما أصبح العنف ثقافة فرعية خاصة تؤمن بممارسة كل ألوان الاعتداء المنهجي المنظم على حقوق الإنسان الأساسية وإيذاءً لكيانه فيزيقيًّا ونفسيًّا ومعنويًّا، وتحرمه من حق الشعور بالحياة الآمنة الكريمة القائمة على أساس العدل والمساواة.

والأغلب أن الثقافة الفرعية-ثقافة العنف- تنشأ استجابة للأوضاع المتردية التي يعاني منها بعض فئات المجتمع التي تشعر إزاءها بقسوة الحياة، وتعرضهم إلى الظلم والتهميش نتيجة الفقر والفساد والبطالة والتفاوت الاجتماعي الصارخ، فهي وليدة الخلل والتفكك الاجتماعي، ولكنها تمثل في الوقت ذاته نوعًا من التمرد على تلك الأوضاع والتحدي لسلطة المجتمع الذي يتقبل هذه الأوضاع؛ بل يستمد في كثير من الأحيان شرعية وجوده من قواعد العرف وقيم الثقافة العامة السائدة والمتوارثة (أحمد أبو زيد، ٢٠١٠: ٣٣). ويعد الأخذ بالثأر ظاهرة متأصلة في بعض القرى بصعيد مصر، فالثأر أحد مخلفات النظام القبلي الرعوي، لغياب الدولة الحديثة ووجود السلطة والإدارة في العاصمة (رأفت عبد الحميد، ٢٠٠٧: ٢).

ويكشف تقرير مصلحة الأمن العام الصادر عن وزارة الداخلية عن معدلات الجريمة في مصر أن جريمة القتل العمد زادت خلال الأعوام الثلاثة السابقة، إذ احتلت مصر المركز الثالث عربيًّا في عام ٢٠١٦، وفي المركز الخامس وفقًا إلى قاعدة البيانات "ناميبو" في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عام ٢٠١٧. كما أكد التقرير الصادر عن قطاع الأمن العام في الحصاد السنوي عن ارتفاع مستوى الجرائم بنسبة ٥٪ في عام ٢٠١٥، و٧٪ في عام ٢٠١٦، و١٠٪ في مطلع عام ٢٠١٧، بالإضافة إلى زيادة ملحوظة في عام ٢٠١٨ بلغت ١٣٪. إذ احتلت جريمة القتل العمد المرتبة الرابعة في عام ٢٠١٥ بواقع ١١٨٤ جريمة قتل عمد، وزادت في ٢٠١٦ لتصل إلى ١٢٩٣ جريمة قتل عمد (تقرير مصلحة الأمن العام، ٢٠١٨).

إلا أن المرأة في صعيد مصر تؤدي دورًا كبيرًا في استمرار جرائم الثأر من خلال الشواهد الإمبريقية، ومن خلال تبنيها لتقاليد بالية متوارثة، فالجدة والأم لهما رأي مسموع في جرائم الثأر، وهما اللتان تشوران على الأسرة بما يجب فعله. فالأم ترضع أطفالها ثقافة الثأر منذ نعومة أظافرهم، وتعمد إلى تدريبهم لحمل السلاح واستخدامه انتظارًا ليومٍ موعودٍ تحصل فيه على ثأر قتيلها (مجدي أحمد فهمي، ٢٠٠٣: ٢٥-٢٧). والمرأة في صعيد مصر لها دور كبير أيضًا في استمرار جرائم الثأر من خلال ممارسات الحياة اليومية، ومن خلال الشواهد الإمبريقية، من خلال تبنيها لتقاليد بالية متوارثة، فالجدة والأم لهما رأي مسموع في جرائم الثأر، وتقومان بممارسات في الحياة اليومية ذات طابع يومي متكرر يحمل في طياته الإلزام، فالمرأة من خلال ممارسات الحياة اليومية تعزز وتحرض على الأخذ بالثأر، وتلزم رجال العائلة للمضي قُدمًا في طريق الثأر. تؤكد تلك الرؤى بعض نتائج التراث

البحثي إذ اتفق عدد من الدراسات أن المرأة تمارس دورًا في التحريض على الثأر إذ إنَّها المحرك الأول له، وهذا ما أكدته دراسة كلٍّ من: "سميحة نصر (٢٠٠٤)"، و"أسماء راغب (٢٠٠٨)"، و"علي طلبة (٢٠٠٩)"، و"جواد عيد (٢٠١٢)"، "Jacqueline H. Wilson (2014)"، و"أيمن عليو (٢٠١٧)"؛ حيث توصلوا إلى أن للمرأة دورًا كبيرًا في إذكاء ظاهرة الثأر، وذلك من خلال تنصيب نفسها حافظةً للذاكرةِ الاجتماعية، بحيث تظل تذكر الشباب بما جرى للعائلات من مصائب ومشاكل، وتقوم ببعض الممارسات السلوكية التحريضية في مواقف الحياة اليومية.

ومن هنا كانت الحاجة إلى تسليط الضوء على الدور الذي تؤديه المرأة في تعزيز الأخذ بالثأر، من خلال تساؤل رئيسي مؤداه: **ما الدور الذي تؤديه المرأة في تعزيز ظاهرة الثأر في مواقف الحياة اليومية؟ وما يرتبط بذلك الدور من ممارسات؟**

ثانيًا- أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية: ترجع أهمية الدراسة إلى محاولتها طرح إطارٍ نظري لدور النساء وممارساتهن في الأخذ بالثأر في الحياة اليومية، كونه دورًا يدعم ويشجع على استمرار الثقافة الثأرية. كما تكمن أهمية الدراسة في كونها إضافة إلى التراث البحثي والمكتبة العربية في علم الاجتماع؛ وذلك لندرة الدراسات التي تتناول دور المرأة في تعزيز ظاهرة الثأر، وتوضح دورها الداعم لاستمرار الثقافة الثأرية. خاصة إذا كانت ممارسات النساء التي تدعم الثقافة الثأرية هي انعكاس لواقع يسوده القهر والضعف وتدني مكانة النساء.

الأهمية التطبيقية: يسمح تحديد السياق الاجتماعي والثقافي لدور المرأة وممارستها في مواقف الثأر في الحياة اليومية بوضع تصور للآليات التي يمكن استخدامها للقضاء على الثقافة الثأرية، أو على الأقل التقليل من تأثيرها، أيًّا ما كانت صور وجودها أو مجالها. كما أن تحديد هذه السياقات سوف يعطي مؤشرات لمن يتصدى لهذه الظاهرة عن أولويات مواجهة هذه الظاهرة.

ثالثا- أهداف الدراسة:

تنطلق الدراسة من هدف رئيسي هو: **التعرف على الدور الذي تؤديه النساء في تعزيز الثأر في مواقف الحياة اليومية، والذي يدعم ثقافة ظاهرة الثأر وبنيتها في صعيد مصر.** ويتفرع منه عدة أهداف فرعية، وهي:

١- رصد الممارسات المرتبطة بالنساء في الحياة اليومية في أثناء المناسبات الدينية والاجتماعية قبل الأخذ بالثأر وبعده.

٢- التعرف على الممارسات المرتبطة بالنساء في الحياة اليومية وتأثيرها على بنية علاقاتها خارج الأسرة في ظاهرة الثأر.

٣- التعرف على الممارسات المرتبطة بالنساء في الحياة اليومية داخل الأسرة في ظاهرة الثأر.

٤- الكشف عن أثر استخدام النساء لعناصر الثقافة الشعبية ودورها في تعزيز الأخذ بالثأر.

رابعًا- تساؤلات الدراسة:

تنطلق الدراسة من تساؤل رئيسي هو: **ما ممارسات النساء في الحياة اليومية لتعزيز الأخذ بالثأر في مواقف الحياة اليومية بصعيد مصر؟** ويتفرع منه عدة تساؤلات فرعية، وهي:

١- ما ممارسات النساء في أثناء الاحتفال بالأعياد الدينية والاجتماعية لتعزيز الأخذ بالثأر؟

٢- ما ممارسات النساء في أثناء الاحتفال بالمواليد الجدد، وطريقة اختيار الأسماء لتعزيز الأخذ بالثأر؟

٣- ما ممارسات النساء في أثناء الاحتفال بمراسم الزفاف لتعزيز الأخذ بالثأر؟

٤- كيف يكون الأخذ بالثأر في أثناء الاحتفالات ضرورة لدى النساء؟

٥- ما ممارسات النساء من خلال مهامهن المنزلية لتعزيز الأخذ بالثأر؟

٦- ما ممارسات النساء خاصة في ارتداء الملابس واستخدام أدوات التجميل والزينة لتعزيز الثأر؟

٧- ما شكل علاقة المرأة بالجيران والسوق والخروج للعمل وأداء المجاملات خلال الثأر؟

٨- ما أثر استخدام النساء لعناصر الثقافة الشعبية (الأمثال شعبية) خلال الثأر؟

خامسًا- مفاهيم الدراسة:

١- الثأر Revenge:

ويعرفه إبراهيم مدكور بأنَّه دافع يلزم بالقصاص والانتقام بين جماعتين اعتدت إحداهما على الأخرى، وقد عرف في شعوب كثيرة قديمة وحديثة، وكان عرب الجاهلية يحرصون عليه حرصًا شديدًا؛ إذ يحرمون على أنفسهم الطيبات إلى أن يأخذوا بثأرهم. وصاحب الثأر هو القريب الأقرب، فإن مات قبل أن ينال ثأره يضطلع بهذا الواجب من يليه في القرابة، ولا يزال طلب الثأر واجبًا تلتزم به القبائل والعشائر في العالم العربي، وله شأن ملحوظ في صعيد مصر، حيث يحتفظ النظام العشائري بشيءٍ من قوته.

فيمتاز نظام الثأر بخصائص أهمها أنه نظام اجتماعي يتحقق بين قبيلتين أو عشيرتين، وفيه ما يدل على تماسك كل واحدة منها وشعور كل فرد فيها بالواجب المشترك. وأوضح ما يكون ذلك حين تكون وحدة القرابة أحادية السلالة، فالاعتداء على فرد من أفراد هذه الجماعة يعد موجهًا إلى أفرادها جميعًا. ويلتزمون بالثأر له وينسون في سبيل ذلك خصوماتهم الداخلية. والأصل في نظام الأخذ بالثأر أنه يتجه إلى العشيرة كلها التي ينتمي إليها الجاني وحده، فهو يقوم على نظام المسئولية الجماعية (إبراهيم مدكور، ١٩٧٥: ١٩٩).

كما يعرف الثأر بأنَّه "جريمة قتل يرد بها جماعة المجني عليه أو أحد أفرادها على جريمة قتل سبقته قام بها أحد أفراد جماعة الجاني من قبل، وذلك إغفالاً للقانون الوضعي السائد، بحيث لا تعترف الجماعات المحلية في تلك المجتمعات بأن جريمة القتل جريمة عامة تخص المجتمع كله طبقًا إلى قواعد وأحكام القانون السائد، ولكن ترى أن حق إنزال العقاب على المعتدي والثأر منه هو أمر يخص فقط الجماعة القرابية المعتدى عليها، وهي بذلك لها قانونها العرفي السائد وذلك طبقًا لثقافتها الفرعية التي قد تختلف عن الثقافة السائدة" (محمد علي محمود، ١٩٩٢: ٤١). ويعرف بأنه "نوع من الانتقام الذي تظنه أعراف محلية ترتبط بأبنية قبلية وقرابية، وهو يهدف إلى رد اعتبار القبيلة أو العائلة أو المجموعة القرابية، ويكون تطبيق هذه الأعراف صارمًا إلى حد استهجان من ينكرها أو يناهضها من أبناء المجموعة القرابية" (أحمد زايد، ٢٠٠٤: ٩٣٥).

ومن الناحية القانونية عدَّ القانون المصري أن القتل بدافع الثأر صورة من صور القتل العمد والشروع فيه، وقد عالج المشرع المصري جريمة القتل العمد المقترنة بظروف مشددة وغير المقترنة في المواد (٢٣٠-٢٣٣-٢٣٤)، وينطبق على جرائم الثأر الظروف المشددة وهي سبق الإصرار والترصد (محمود جلال، ١٩٧٨: ٢٩). وتتخذ الدراسة من التعريف القانوني للثأر تعريفًا إجرائيًّا لها.

فتعرِّف ممارسات الحياة اليومية التعزيزية للثأر إجرائيًّا بأنها: أنشطة يومية ضرورية تتسم بالتكرار والتواتر، وتحمل بداخلها الاستسلام والرضوخ لها، فهي أنشطة ملزمة للفرد والجماعة، تستخدمها المرأة التي نشأت في صعيد مصر على تقاليد وعادات ثأرية، تقوم بها حتى تشجع وتحرض على ظاهرة الثأر، وتمارس تلك الأنشطة ماديًّا أو معنويًّا، سلبيًّا أو إيجابيًّا، علنيًّا أو ضمنيًّا، وتمارسه في فتراتها العمرية كافة، في كونها: ابنة/ زوجة/ جدة، تغذي الثأر في تفاصيل حياتها اليومية كافة، ولا تتوقف عن تلك الأنشطة حتى تتم عملية الأخذ بالثأر. وتتمثل تلك الأنشطة في: الاحتفالات، وطقوس التأبين، وبنية العلاقات الخارجية للأسرة، والأعمال المنزلية، وإعداد الطعام، والاهتمام بالنظافة الشخصية، والملابس، والشعر، واستخدام أدوات التجميل والزينة، وارتداء الذهب والحلي، واستخدام بعض عناصر الثقافة الشعبية.

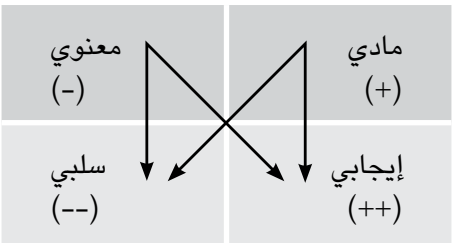

شكل رقم (١) رسم توضيحي لممارسات الحياة اليومية المعززة للثأر

سادسًا- الإطار النظري:

١- التمثيل المسرحي لإيرفنج جوفمان Erving Goffman

يعد جوفمان أشهر علماء الاجتماع الذين اهتموا بدراسة الوحدات الاجتماعية الصغرى خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، وكان جوفمان رائدًا في المنظور المسرحي في علم الاجتماع، حيث لفت الانتباه إلى أهمية الرمز والشعيرة في الحياة اليومية وإلى تقنيات الملاحظة المشاركة (جوردن مارشال وجون سكوت، ٢٠١١: ٦٠٣). اهتمت نظرية جوفمان الاجتماعية بالفرد وموقعه من الآخرين، وكيفية تقديم نفسه وأفعاله لهم من خلال الحياة اليومية، والطريقة التي يمكن من خلالها التحكم بانطباعات الآخرين عنه في أثناء التفاعل الاجتماعي، وهذه المبادئ نوع من التأليف المسرحي، حيث الأداء لمواجهة الآخرين والتأثير عليهم. وجد جوفمان في المسرح استعارة رائعة لتسليط الضوء على العمليات الاجتماعية الصغرى، إذ إن التعابير الجسدية والإيماءات ونوعية الفعل تعد أصدق للمعنى ووعي الإنسان به، وتجعله يحاول تدبير تعابيره الحركية وأفعاله بالشكل الذي يظهر أحسن مظهرًا محاولًا إخفاء الأوجه السلبية، مَا يجعل التفاعل الاجتماعي نوعًا من لعبة الانطباعات بين المرسل والمستقبل؛ طرف يحاول اكتشاف الحقيقة والآخر يحاول إخفاء الأمر الذي يساعد في استمرار العملية الاجتماعية، حيث إن كل طرف من أطراف التفاعل يحاول حماية صورته وتجنب الفضائح، ويقدم أفضل صورة لذاته بوصفها محاولة دفاعية. ويحاول كل إنسان في عملية التفاعل وضع واجهة تشمل الرموز والإشارات التي تتناسب مع مكانة الدور كالملبس ونمط اللغة (Goffman, Erivng, 1956:13-17).

وفي ضوء ذلك يمكن تفسير ممارسات المرأة الصعيدية التي تسعى لتأسيس موقع لها على خارطة الثأر من خلال ممارسات عدة تقوم بها في الحياة اليومية؛ لتضمن إبقاء عملية الأخذ بالثأر على موقد النيران. فهي تحاول استخدام بعض الرموز والإشارات، سواء علنًا، أو صراحة في التحريض مباشرة، أو ضمنيًّا كإشارات ارتداء الزي الأسود، وترديد بعض الأمثال الشعبية ومواويل الندب على قتيلها.

يبدو أن ثمة جدلية أساسية تكمن خلف جميع تفاعلاتنا الاجتماعية، ألا وهي أن الفرد عندما يكون في حضور الآخرين فإنه يسعى لاستكشاف حقائق الموقف. إلا أن مُكْنَة إنتاج الذات بأكملها بالطبع ضخمة وبطيئة، ومن الممكن أن تتحطم في بعض الأحيان لتكشف عن أهم مكوناتها المنفصلة وهي التحكم من وراء.

وهنا يظهر مصطلحان "Front Stage" و"Back Stage" وهما جزء من المنظور الدرامي في علم الاجتماع الذي يستخدم استعارة المسرح لتفسير التفاعل الاجتماعي. خاصة أن التفاعل الاجتماعي يُحدد أيضًا من خلال القيم والأعراف والمعتقدات والممارسات الثقافية العامة للمجموعة الاجتماعية. ففي "Front Stage" يمارس الأفراد أدوارًا مختلفة طوال حياتهم اليومية، ويعرضون أنواعًا مختلفة

من السلوك وفقًا إلى مكانتهم المتعارف عليها. وفي "Back Stage" أو ما وراء الكواليس يتحرر فيها الأفراد من التوقعات والقواعد التي تملي عليهم سلوك "Front Stage". فالأفراد يكونون أكثر راحة فيما وراء الكواليس؛ لأنَّهم يتركون حذرهم ويتصرفون بطرق تعكس ذواتهم غير المقيدة أو "الحقيقية". لقد تخلصوا من عناصر مظهرهم المطلوبة لأداء سلوك "Front Stage". لذلك حتى في مرحلة ما وراء الكواليس، يدرك الناس القواعد والتوقعات التي تؤثر على ما يفكرون فيه ويفعلونه. (Cole, Nicki Lisa,2019)

ولطبيعة مجتمعات الصعيد لا يحق للمرأة الظهور في نظام اجتماعي كالثأر، الذي يعد حكرًا على الرجال، إلا أنها تدير فعليًّا هذا النظام من وراء الكواليس؛ إذ تتحرر من قيودها التي وضعتها الثقافة بداخلها، وتتفنن من تلك المساحة المهملة في ممارساتها لتجعل الرجال في الواجهة الأمامية يؤدون أدوارًا قد حددتها ورسمتها لهم.

٢- النظرية النسوية Feminist Theory

لم يتساوَ الرجال والنساء في الكثير من المجتمعات في الكثير من اللحظات التاريخية. وقد ظهرت الأسئلة المتعلقة بقهر النساء في الفلسفة السياسية حين كتبت "ماري ولسترنكرافت" مقالاً عام ١٧٩٢ بعنوان "دفاعًا عن حقوق النساء"، ودعت لحصول النساء على تعليم مناسب. ولقد مد المفكرون الليبراليون الأوائل الجدل حول الحقوق الفردية لتشمل النساء، وطالبوا بحقوقهن في التعليم والمشاركة العامة، ومنحهن حقوقهن السياسية كاملة، بما فيها حق التصويت والترشح في الانتخابات. وقد تلا ذلك تتابعًا سريعًا لأفكار تحبذ المساواة وتشكك في أسس التمييز والقهر، وقد أرست هذه الأفكار أسس الحركة النسوية ومشروعًا تحليليًّا في العلوم الاجتماعية سعى لفهم كيف ولماذا كانت النساء أقل نشاطًا في الحياة العامة؟ (هانيا الشلقاني، ٢٠١٥: ١٠-١١).

نشأت الحركات النسوية في النصف الأول من القرن العشرين، وبدأ التنظير في قهر النساء من تيارات تلك الحركة، حيث بدأت من أن أجساد النساء هي أعباؤهن، فهذه الأجساد موضوع للملكية التي تدعي بحق الوصاية عليها، ومن ثَمَّ فعلى هذه الأجساد أن تكون مملوكة وأن يتحكم فيها الغير. ومع صدور كتاب "الجنس الثاني" لسيمون دي بوفوار عام ١٩٤٩، حيث سألت في بداية الكتاب ما المرأة؟، إلا أنَّها أجابت بعبارة خالدة لها "إنَّ الشخص لا يولد امرأة؛ بل يصبح امرأة" فنحن نصير نساء من خلال ما نعيشه من علاقات، وتنشئة اجتماعية، واختيارات حياتية، وهياكل اجتماعية-سياسية. وهذا الوضع يشير إلى وجود تنوعات واسعة في خبرات النساء، ويشير في الوقت نفسه إلى عمومية القهر الموجه إلى النساء (المرجع السابق: ١١). فمنظومة القيم دائمًا تضع المرأة في منزلة متدنية، فقيم الأنوثة تحمل تصورات رمزية تعكس الترتيبات الاجتماعية الهيكلية الخاصة بالمرأة في المجتمع، إذ لا تساعد القيم الأنثوية أن تحرز النساء مراتب

أعلى من الرجال رسميًّا في النظام الاجتماعي برُمته. فقيم عالم الأنوثة تعزي إلى النساء القدرة على تدنيس المقدسات، وهو ما يمكن تفسيره على أنه تصريح بالحط من قيمتهن. إذ يربط المرأة بالدائرة المنزلية، وتصبح كل القيم المرتبطة بها خاصة بالحياة الجنسية والإنجاب وتربية الأبناء، وما عدا ذلك هو عالم خاص بالذكور (Ortner Sherry.B, 1974: 69-70).

إلَّا أن الثأر يرتبط بأحد أهم قيم عالم الذكورة ألا وهو "الشرف"، فالرجال وحدهم ينخرطون في الثأر دون النساء، واللاتي ينحصر دورهن في قدرتهن على التحميس والتشجيع والعمل على تدعيم هذه الثقافة التي هي بالأساس ثقافة ذكورية، التي تتحول فيها النساء إلى موضوعات للصراع الثأري، على اعتبار أن الشرف يرتبط بالأساس بعفة وطهارة المرأة. وتظهر علاقات الأنوثة والذكورة بالثأر، فقتل الرجل لا يحط من شأنه فقط؛ بل يقلل من قدرة الأسرة على حفظ عرضه وشرفه وحفظ ممتلكاته بما فيها الإناث. فقانون الثأر يخرج النساء من دائرته فلا تُمس ولا تُقتل، قتلها مجلبة للعار وفعل مستهجن يعري صاحبه أمام المجتمع. لذلك تدافع المرأة عن الثأر وتحض عليه وتنشئ أبناءها عليه، كأن الثأر من شأنه أن يعلي من مكانتها ووضعها (أحمد زايد، ٢٠٠٤: ٩٤٤-٩٤٨).

يعتمد تمكين النساء على افتراض وجود عوامل بنائية وثقافية تقيد النساء كجماعة على أساس نوعها الأنثوي خاصة في العالم الثالث، وتشتمل تلك العوامل على التشريعات والقيم والأيديولوجيات والمؤسسات الاجتماعية المتحيزة ضد النساء. ولكي تتغلب النساء على هذه القيود ويمارسن قدراتهن الذاتية على الفعل، أي ما يسمى تمثيل الذات خاصة عند تمثيل الآخر من أجل تحقيق أهداف تعزز فرصهن في الحياة وحسن الأحوال، فإنهن يحتجن إلى جهود إيجابية لرفع هذه القيود عنهن وتمكينهن من التحرك لتحقيق أهدافهن (Mohanty,C.T, 1991;56). ينقسم تمكين النساء إلى ثلاثة مجالات، وهي: الموارد، والقدرة الفردية على الفعل، والإنجازات. تمكين النساء هو القدرة على الاختيار في الأحوال والسياقات التي حرمت النساء فيها سابقًا من حق الاختيار، أو من القدرة على الاختيار، أو من الاثنين معًا (Kabeer,Naila, 2001: 18-19).

فالثأر في صعيد مصر أحد أشكال التمكين لها، خاصة أنها تعاني من القهر بسبب تدني مكاناتها، وربط دورها الأساسي في إطار الأسرة فقط. فنظام الثأر يجعل النساء أكثر استقلالية باتخاذ بعض القرارات المهمة، ويتضح هذا مثلًا وقت اختيار مَن مِن الرجال سيحظى بالحفاظ على شرف العائلة، والثأر كذلك يزيد من قدرة النساء على الفعل، خاصة مع قيامهن بالتحريض والتشجيع، وأحيانًا قيامهن بأخذ الثأر بأنفسهن، حيث يمثل هذا تمكينًا حقيقيًّا على مستوى الفعل.

٣- الهابتوس لبيربورديو Habitus

بدأ "بورديو" نظريته من مصطلح الممارسة وليس الفاعل، فكانت الممارسة لديه هي الطريقة التي يسلكها الفاعل التي لا تخلو من المصلحة، ومن خلال انتقال الفاعلين بين الحقول تتولد المصلحة وشبكات القوة والسلطة ليصبح لكل مجموعة من الفاعلين هابتوس خاص بهم، يخاطبون بعضهم بعضًا من خلال الرموز. وهنا تظهر التمايزات لكل ما هو أنثوي خاصة عبر الانتقال بين الحقول المختلفة، وتتجلى في الممارسات الخاصة القائمة على أشكال مختلفة من رأس المال النوعي للفاعلين. يتحكم التحليل البنيوي للأبنية الاجتماعية في منتجاتها الرمزية، فالرمز هو منتج جماعي يخدم الأيديولوجيات والمصالح الخاصة، وتعمل الثقافة السائدة على التكتل الفعلي للأفراد لكونها تضمن التواصل بين الأعضاء وتعمل على التمييز، كما أنها تساعد على صنع التكتل الوهمي (الوعي الزائف) لتبرر النظام القائم، وذلك بإقرار الفروق والتمايزات (بيربورديو، ٢٠٠٧: ٥٠).

يعرف بيربورديو الهابتوس بوصفه خصيصة الفاعلين الاجتماعيين التي تتألف من بنية Structured and Structuring (Bourdieu ,1994:170)، فالبنية Structuring تتشكل بواسطة ماضي الفرد وظروفه الحاضرة، بوصفه نمط التنشئة الأسرية والتعليم. أما البنية Structured فتتشكل لأن هابتوس الفرد يسهم في تشكيل ممارساته الحاضرة والمستقبلية، وهي بنية في شكل نسقي، عوضًا عن أن تكون عشوائية أو لا نمطية. هذه البنية هي التي تشكل نسقًا من الاستعدادات Dispositions التي نولد بها، وتشمل تصورات الفرد وتقييماته وممارساته.

فهذه الاستعدادات تشير إلى حالة من الهابتوس من: ميل، وتهيؤ، وتفضيل معين (Bourdieu,1990:53). فالاستعدادات راسخة، ولا تبلى مع الزمن، وقابلة للنقل، فهي قادرة على أن تكون فعالة ضمن تنويعة كبيرة من حقول الفعل الاجتماعي. كما أن الممارسات محصلة العلاقات بين الفرد (هابتوس) وموقعه في حقل ما (رأسماله). فالممارسات ليست مجرد أثر لهابتوس الفرد، وإنما هي أثر بين هابتوس الفرد وظروفه السائدة.

يرتكز الهابتوس على أنماط وجودنا، وتفكيرنا، وإحساسنا، وفعلنا. ويربط بين الفردي والمجتمعي، لأن تجارب الفرد الحياتية تكون فريدة من حيث محتواها الشخصي، ولكنها من حيث بنيتها تشترك مع الآخرين خاصة أولئك الذين ينتمون إلى فضاءات متشابهة كالطبقة الاجتماعية أو النوع الاجتماعي (كارل مانون،٢٠١٧: ٨-٩). فالهابتوس الأنثوي الثأري يحمل ببنيته نسقًا مِن استعدادات النساء نحو تعزيز الأخذ بالثأر، من خلال تصورات النساء عن نظام الثأر، وتقييماتهن عن تجارب الأخذ بالثأر من خلال المحيطين بهن، وعن طريق العادات والتقاليد وما تبثه من أفكار ثأرية.

سابعًا- التراث البحثي حول ممارسات النساء في مواقف الثأر في الحياة اليومية:

كشف بعض الدراسات عن دور المرأة المحوري والخفي في ظاهرة الثأر، خاصة تلك الممارسات في الحياة اليومية التي تعد تحريضًا واضحًا ومباشرًا على الأخذ بالثأر. فنجد منها التالي:

دراسات أوضحت أن النساء هن الأكثر حرصًا على الأخذ بالثأر، والمحرك الأساسي والرئيسي له، ولديهن مخزون ثقافي يدعم استمرارية الثأر، ولا يهدأ لديهن بال إلا إذا أُخذ بالثأر. فعلى الرغم من القهر الذي يمارس ضد المرأة فإنَّها تحتل مكانة رفيعة داخل عائلتها، فهي الرافد الأساسي لتواصل عادة الثأر، فضلًا عن أن ثقافة الثأر تبدأ وتنتهي عندها، تهب حياتها وكل ما تملك من أجل الأخذ بالثأر، فهي ترى أن الثأر مرادف للرجولة ورمز لشرف العائلة والحفاظ على كيانها وهيبتها (أحمد أبو زيد، ١٩٦٥، أحمد زايد، ٢٠٠٤، سميحة نصر، ٢٠٠٤، علي طلبة محمد، ٢٠٠٩)

كشف بعض الدراسات أهمية متغير السن؛ حيث تؤدي المرأة كبيرة السن دورًا كبيرًا في إذكاء ظاهرة الثأر في مجتمع الدراسة، وذلك من خلال تنصيب نفسها بوصفها حافظة للذاكرة الاجتماعية، فتعد كبيرات السن من أهم المحرضين على جرائم الثأر، وللرجال كبار السن دور في اتخاذ القرار والتخطيط، وعلى حين يترك لصغار السن من الشباب دور التنفيذ (جواد عيد حسين غنام، ٢٠١٢، أيمن عليو حسنين، ٢٠١٧، علي طلبة محمد، ٢٠٠٩).

تتشكل ملامح دور المرأة في مظهر جلي وواضح وعلني وهو التحريض بالكلام، فأحد محركات الثأر الأساسية التحريض بالكلام، ويفسر ذلك ما فرضته الثقافة التقليدية عليها من انغلاقها على نفسها، وتنفيذ ما يملى عليها من أوامر حتى تعودت ألَّا تفكر إلا بقدر ما تنفذ (أسماء حسن راغب، ٢٠٠٨).

كما يتجلى دور المرأة في التحريض على الأخذ بالثأر من خلال ارتداء الملابس السوداء وخاصة والدة القتيل وزوجته طوال الحياة (أسماء حسن راغب، ٢٠٠٨، وجواد عيد حسين غنام، ٢٠١٢). وقد تمتنع المرأة عن أكل بعض الطعام؛ مثل: اللحوم إلا بعد مرور مدّة من الوقت، وترفض إقامة العزاء إلا بعد الأخذ بالثأر (أسماء حسن راغب، ٢٠٠٨)، وتمتنع عن حضور حفلات الأفراح (جواد عيد حسين غنام، ٢٠١٢). وأوضحت إحدى الدراسات الدور الأساسي للمرأة المتمثل في غرس فكرة الثأر وتغذيته لدى ابنها في حالة قتل الأب (ماجدة عبد الغفور محمد، ١٩٨٧).

وضع الدراسة الراهنة على خارطة التراث البحثي المنشور

يعد الثأر أحد أهم الموضوعات التي تميز بيئة صعيد مصر، وحاول أغلب الباحثين دراسة ظاهرة الثأر في بعض محافظات الجنوب متمثلة في (محافظة أسيوط - محافظة سوهاج

-محافظة قنا). وتناولوا العديد من الأسباب المؤدية إلى الثأر كالصراع على الخير المحدود، والحفاظ على شرف القبيلة، ووحدة العمل الزراعي وعموميته.

تأتي هذه الدراسة لدراسة فجوة حقيقية في دراسات الثأر ألا وهي "ممارسات المرأة في الحياة اليومية لتعزيز الأخذ بالثأر"، فهناك بعض من الدراسات التي توصلت في إحدى النتائج المرتبطة بمتغير النوع أن للنساء دورًا في التحريض على الثأر. وتوقفت تلك النتيجة المهمة عند حد رصد التحريض دون شرح وتوضيح ممارسات ومبررات هذا التحريض المستخدم من قبل النساء. وتوالت الدراسات دون أن يُلتفت لتلك الظاهرة المهمة إلا مع ظهور دراسة "الأبعاد الاجتماعية والثقافية لظاهرة الثأر لدى المرأة"، ولم يعطِ هذا البحث إضافات كيفية تفسيرية تجاه تلك الأبعاد، ولم يتخط فكرة دورها في التحريض. وهنا يظهر دور الدراسة الراهنة لتسد فجوة في تراث البحث السوسيولوجي، من خلال دراسة دور النساء وممارساتهن في الحياة اليومية لتعزيز الأخذ بالثأر بأسلوب كيفي لتصل إلى شرح وعرض وافٍ لدور النساء الحقيقي.

ثامنًا- الإجراءات المنهجية:

نوع الدراسة: تعد هذه الدراسة من دراسات أنثروبولوجيا الجريمة الوصفية التي تهدف إلى الوقوف على الدور الحقيقي الذي تمارسه النساء لتعزيز الأخذ بالثأر في مواقف الحياة اليومية.

منهج الدراسة: تعتمد الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي في تناول ممارسات النساء في مواقف الحياة اليومية المعززة للثأر بصعيد مصر.

الطريقة العامة للبحث: دراسة الحالة.

أدوات جمع البيانات: اعتمدت الدراسة على دليل المقابلة المتعمقة، للوصول إلى ممارسات المرأة في مواقف الحياة اليومية لتعزيز عمليات الأخذ بالثأر.

مجتمع الدراسة: طُبقت الدراسة الميدانية في أربع محافظات في صعيد مصر، هي (المنيا – أسيوط – سوهاج – قنا).

حالات الدراسة: (الشروط الديموجرافية وخصائصها)، أُجريت الدراسة الميدانية على عينة عمدية قوامها (١٥) حالة من النساء حُددت وفقًا للشروط التالية:

أن يكون منشأ المرأة ومحل إقامتها إحدى محافظات الصعيد، وأن تكون المرأة من عائلة مرت بتجربة الثأر. مراعاة أن تعكس الحالات تنوعًا في الفئة العمرية من أجيال مختلفة (جيل الجدة أو الأم/ وجيل الزوجة / وجيل الابنة). أن تعكس الحالات تنوعًا في الديانة، والحالة التعليمية، والحالة المهنية. ويوضح الجدول التالي خصائص حالات الدراسة:

المتغير الحالة	السن	الديانة	الحالة الاجتماعية	الحالة التعليمية	المهنة	محل الإقامة
الحالة (١)	٢٤	مسلمة	مطلقة	مؤهل متوسط	لا تعمل	قنا
الحالة (٢)	٥٤	مسيحية	متزوجة	الإعدادية	لا تعمل	أسيوط
الحالة (٣)	٦٥	مسلمة	أرملة	أمية	لا تعمل	قنا
الحالة (٤)	٤٢	مسلمة	متزوجة	مؤهل عالٍ	تعمل	قنا
الحالة (٥)	٤٠	مسلمة	متزوجة	مؤهل متوسط	لا تعمل	أسيوط
الحالة (٦)	٤٤	مسلمة	متزوجة	مؤهل متوسط	تعمل	سوهاج
الحالة (٧)	٤٨	مسلمة	متزوجة	مؤهل متوسط	لا تعمل	سوهاج
الحالة (٨)	٧٠	مسلمة	متزوجة	أمية	تعمل	سوهاج
الحالة (٩)	٣٥	مسلمة	متزوجة	مؤهل متوسط	لا تعمل	المنيا
الحالة (١٠)	٣٢	مسلمة	متزوجة	مؤهل عالٍ	تعمل	قنا
الحالة (١١)	٦٥	مسلمة	متزوجة	أمية	لا تعمل	قنا
الحالة (١٢)	٣٢	مسلمة	أرملة	مؤهل متوسط	تعمل	سوهاج
الحالة (١٣)	٥٨	مسلمة	متزوجة	الابتدائية	تعمل	سوهاج
الحالة (١٤)	٤٧	مسلمة	متزوجة	الإعدادية	لا تعمل	قنا
الحالة (١٥)	٣٨	مسلمة	متزوجة	مؤهل عالٍ	لا تعمل	قنا

بقراءة الخصائص الديموجرافية لحالات الدراسة يتبين مطابقة جميع الحالات لشرط الدراسة وهو المرور بتجربة الثأر بالعائلة، فجميعهن من عائلات ذات خصومة ثأرية إما حديثة العهد وإما قد مر عليها عددٌ من السنوات. فجميع الحالات عانت من ويلات الثأر، وانعكس ذلك على جميع ممارساتهن في المواقف المختلفة بالحياة اليومية.

وتنوع الفئات العمرية للحالات يعكس تنوعًا في موقف الأجيال من الثأر، خاصة تعزيز الأخذ بالثأر من خلال تمسكهن ببعض الممارسات في مواقف مختلفة بالحياة اليومية. وتنوع الديانة بين حالات الدراسة ليكشف دور تعاليم الدين في الممارسات اليومية الصغيرة في تعزيز الثأر، وكذلك تنوع الحالة المهنية والتعليمية والاجتماعية.

أمَّا تنوع محافظات التطبيق الميداني المتمثل بمحل الإقامة فيعكس بشكل حقيقي جرائم الثأر من حيث تزايدها وشدتها.

أساليب التحليل: اعتُمِد على الأسلوب الكيفي في تحليل البيانات وتفسيرها.

تاسعًا- سياقات ممارسات المرأة في تعزيز الأخذ بالثأر:

تسعى الدراسة الراهنة إلى تلمس ممارسات المرأة في تعزيز الأخذ بالثأر خلال الحياة اليومية التي تتمثل فيما يلي:

(١) الاحتفالات.

عادة ما تحمل الأعياد الدينية مظاهر إظهار الفرح والبهجة بقدومها، إلا عند وجود حادثة ثأر في العائلة فإنها تتلاشى تمامًا وتختفي مظاهر الفرحة والبهجة. أكدت الشواهد الميدانية أنه لا يتم الاحتفال بالأعياد الدينية سواء (الإسلامية أو المسيحية)، من لحظة وقوع حادثة الثأر حتى إتمام الأخذ بالثأر. فأجمع جميع المشاركات في الدراسة الميدانية أن في الأعياد لا تحتفل النساء ولا الأُسر عند وقوع حادثة الثأر، لتبدأ الممارسات من إظهار الحزن العميق على القتيل أو للخوف من التربص بأحد ذكور العائلة لأخذ الثأر منه، وهذا ما أكدته الحالة (١١) "نحتفل إزاي عايشين خايفين على الواد بعد ما يخرج ليتاخد مننا، هنشيل جوه جلوبنا العيد والحزن إزاي تجي دي". ثم ترفض النساء خاصة "وليّات الدم" شراء الملابس الجديدة أو تفصيلها لجميع أفراد الأسرة، ويمتنعن عن تجهيز المأكولات والمشروبات الخاصة بالعيد، وينصرفن عن الاهتمام بتنظيف المنزل وتزيينه أو استقبال الضيوف نوعًا من التحريض للرجال للأخذ بالثأر.

وكل هذه الممارسات الحزينة في الأعياد تتشابه فيها عائلات الخصومة الثأرية سواء (القتيل/ القاتل) نتيجة الحزن والخوف. لذا؛ لا يخرج الرجال لصلاة العيد أو لزيارة المقابر، ومن ثَمَّ لا تخرج النساء لصلاة العيد ولا تزور المقابر، فقط تظل سجينة الحزن والخوف والمنزل. أمَّا الأطفال فينالهم النصيب نفسه من الحزن مثل الكبار، فلا يُحتفل بالأعياد من حيث الخروج للعب مع الأقران وشراء أو تفصيل الملابس الجديدة وأخذ العيدية من الكبار، وركوب الخيول. وهذا ما أكدته الحالة (١) "ما فيش خبيز (كحك وبسكوت) ولا فطير ولا نعيد ولا نجيب لبس جديد للعيال، حتى رجالة العيلة التانية صلّت العيد في شارعهم، مرحوش المسجد كانوا خايفين لنطخ منهم". وتذكر الحالة رقم (٦) "لأ نعيد .. يا عيبة، ولا دُجنا الكحك ولا البسكويتة ولا أي خبيز ولا حتى حِتة كيكة، ولو حد من اللي نواحينا عرف أننا خبزنا ولا دُوجناها نعيش نتعاير بيها طول العمر، فوحان ريحة الوكل في بيوتنا نتعاير عليها". وتذكر الحالة (١٤) "لا احتفلنا ولا سمعنا المديح ولا شبابنا حطبوا أصلنا حزانا هنعيد إزاي؟! حتى المايه للشرب مجدرش اطلعها". وتذكر الحالة (١٣) "منحتفلش بالعيد طول ماحنا حزانا، ومافيش تفصيل الهدوم، ولا رجالتنا فصلت الجلاليب، ولا جهزنا المَندرة، ولا دخل البيت خبيز العيد".

لم يتوقف رفض الاحتفال بالأعياد الدينية عند الأسر أصحاب الخصومة الثأرية في انتظار عملية إتمام الأخذ بالثأر، ولكن امتد أيضًا إلى الأسر التي قبلت الصلح، ولكن في حقيقة الأمر ما زال الحزن

والألم يسكن تلك الأسر ولم تعد تتقبل الأعياد بعد فقد القتيل. وهذا ما أكدته الحالة (٤) "أوّل عيد على ابني مدجناش كحك ولا بسكوت، ومجدرتش أجعد في البيت، روحت لأمي وأخواتي، ومجعدتش في رمضان في البيت، لأن ابني الله يرحمه كان هو اللي بيجيب الزينة ويعلج الفروع وينورها، ولا احتفلنا بالعيد ولا لبس عيد للولاد، حتى عيد الأم من يوم متوفى جولتلهم محدش يجيبلي هدية ولحد دلوجتي تسع سنين مجتليش هدية في عيد الأم". وذكرت هذه الحالة أنه على الرغم من رفضها للأعياد، فإن صفتها السياسية بوصفها أمين حزب تفرض عليها الاحتفال بشكل سياسي لبعض الأعياد، وهذا ما أكدته "مبحتفلش آه بالأعياد لكن في حاجات سياسية لازم أروحها لأني أمين حزب، وأول امرأة تمسك أمين حزب في الصعيد ده منصب للرجالة، ففي أعياد إخواتنا الأقباط لازم أروح الكنائس وأعيد عليهم وآخد هدايا للأطفال وعامله يوم اليتيم يوم١ / ٤، يعني أي احتفال سياسي لازم أروح".

أمَّا في الأعياد الدينية القبطية فتمتنع النساء أيضًا عن حضور القداس والصلاة نوعًا من الحزن، ولتحريض الرجال وحثهم لإتمام الأخذ بالثأر. وهذا ما أكدته الحالة (٢) "من بعد الغالي محتفلتش بالعيد، فضلت مروحش الصلاة وقداس ليلة العيد لحد السنة اللي فاتت، أبونا كلمني وروحت بس روحت حزينة لابسة إسود". فرفض النساء للاحتفال هو أحد ممارساتهن للتعبير عن رغبتهن في عدم ترك الأخذ بالثأر، حتى لو أجبرت على العكس من ذلك من أصحاب السلطة والرأي عليها وهو قس الكنيسة. أما بعد الأخذ بالثأر يتم الاحتفال، ولكن ليس كسابقها من قبل حادثة الثأر، نظرًا إلى الحزن الكبير والعميق الذي صرحت به المشاركات في الدراسة الميدانية، فحتى بعد الأخذ بالثأر يظل حزن النساء قائمًا.

وفي المواسم الدينية والاجتماعية والزراعية (موسم الحصيد) ترفض النساء الاحتفال بها رفضًا حاسمًا ما لم يُؤخذ بالثأر. وهذا ما أكده جميع المشاركات في الدراسة الميدانية، ففي المواسم باختلاف نوعها لا يتم الفرح والاحتفال بها وذلك للظرف الصعب الذي تمر به الأسرة من فقدان أحد أفرادها، أو الأسر التي على دراية بأنَّها ستفقد في القريب العاجل أحد أفرادها، وهذا أكدته الحالة (٣) "جه علينا مواسم ياما مكناش نفرح ولا نحتفل حتى وجت موسم الحصيد كنا نبيع المحصول من سكات". وذكرت الحالة (٧) "ولا في مواسم ولا في فرح بحصيد، خلاص بيتنا اتخرب وبجي فيه جتيل، فرح إيه وأعياد ومواسم إيه اللي نحتفل بيها". وذكرت الحالة (١٠) "ولا عيد ولا موسم تدخل دارنا لما نبجى ناخد بتارنا الأول". كما مارس عددٌ قليلٌ من حالات الدراسة أدوار الرجال في مواسم الحصاد؛ وذلك لخوفهن الشديد على الرجال من أن يصابوا بمكروه ويقتلوا أخذًا بالثأر. وهذا ما أكدته الحالة (١) "وجت الحصيد طلعنا إحنا الحريم كنا خايفين على رجالتنا لينطخوا بالنار ويبجى تار تاني بيتفتح، وجتها كنا حزانا ولا هيصنا ولا فرحنا".

يرفض بعض النساء من الأمهات خاصة الاحتفال بالمواسم والأعياد لحزنهن الشديد، وأن أعطين

النقود سرًّا في المواسم والأعياد لأبنائهن وبناتهن المتزوجات أو من يقطنون خارج الأسرة، ليتمكن هؤلاء الأبناء من الوفاء ببعض الالتزامات المنزلية وتلبية مطالب الأطفال الصغار، وليس فرحًا بالعيد والموسم، وهذا ما أكدته الحالة (١٢) "في العيد أو الموسم أمي بتديني الفلوس في السر عشان خاطر العيال الصغار في السكات، لكن مفيش زيارات ولا تدخل عليا بزيارة طول ما تار جوزي ماجاشي". ويرفض بعض آخر من الأمهات إعطاء النقود سرًّا للأبناء والبنات، ويأمرن أحد أفراد العائلة أن ينوب عنهن في تلك المهمة، وذلك لشدة حزنهن على القتيل، خاصة لو كان هذا القتيل هو الابن. ويتضح هذا من خلال الحالة (٢) "محتفلش بأي مواسم من بعد الغالي، ولا روحت مواسم لبنتي ولا حد جاني مواسم، أبوها وأختها الصغيرة هما اللي يروحوا بالزيارة في الموسم لبنتي الكبيرة".

وأكد جميع المشاركات في الدراسة الميدانية أن النساء في الأسر ذات الخصومة الثأرية لا يحتفلن بمراسم زواج علانية لأي فرد من أفراد الأسرة، حتَّى القرابة من الدرجة الرابعة خاصة من رابطة وعصبة أبناء العمومة من عيلة القتيل أولياء الدم. تحدث تلك المراسم في صمت تام، فتُجهز العروس في منزل أبيها وتذهب مع العريس لبيتها من دون موسيقى وأضواء ومعازيم وزغاريد، وهذا لحزن العائلة على القتيل وعدم إتمام الأخذ بالثأر. فتكتفي العروس بأن تتزين وترتدي فستان الزفاف فقط، ولا تضع العروس الحنة نوعًا من الحزن الشديد وللضغط على رجال العائلة لإتمام الأخذ بالثأر. وهذا ما أكدته الحالة (١) "لو فيه فرح بيبجي سكاتي، بنت عمي الصغيرة متعملهاش الحنة وخرجت من بيت أبوها على بيت راجلها يوم الدخلة، عملنا جعدة حريم صغيرة في حوش البيت لكن منصبناش لها شادر ولا علجنا لند ولا زغرطنا، كنا موجوعين ولسه نارنا مبردتش وبندور على تارنا". وذكرت حالة (٩) "لا مبنجومش فرح، ولا فيه زغرطة وتصجيف، بيتعمل سوكيتي وتروح العروسة للكوافير ويروح يجيبها جوزها، والفرح ميتجامش علشان الناس موجوعة وحزانا". وذكرت حالة (٧) "بنت عمي دخلت بعد أبوها بس سكاتي كده خرجت من بيتنا على بيتها، والله عريسها ابن حلال لأن أهله كانوا غصبوه يسيبها ليجصر المشاكل، لكن طلع راجل ومفرطش فيها".

يرفض بعض النساء حضور فرح الأبناء ويتشددن في عدم إظهار الفرح، وأن تتم مراسم الزفاف في صمت تام؛ وذلك لأنَّ الأسرة لم تتمكن من الأخذ بالثأر. وهذا ما أكدته حالة (٣) "محضرناش أفراح وحتى أفراح عيالي عملناها سكاتي، كان ولدي يروح يجيب عروسته من سكات وياجي بيها ويطلعوا الشُّجة، ومنعت أهل مرتات عيالي من الزغاريط يوم الصباحية ولا السبوع". ويوافق بعض آخر من النساء على حضور أفراح أبنائهن فقط، ولكن مع التشدد في إظهار الحزن. وهذا ما أكدته الحالة (٢) "مروحش أي فرح في العيلة، إلا فرح بنتي الكبيرة، بس محدش زغرط ولا سجف ولا غنى كنا مجروحين وحزانا".

عدم إقامة مراسم الزفاف ليس حكرًا على عائلة أولياء الدم فقط، ولكن على عائلة القاتل أيضًا.

حيث تكون النساء أكثر تشددًا وحرصًا أن تتم المراسم في كتمان شديد وسرية تامة خوفًا أن تعرف عائلة أصحاب الخصومة الثأرية بالموعد ويدبروا لقتل العريس أو أحد أفراد عائلته في يوم العرس. وهذا ما أكدته الحالة (١) "ولو في العيلة التانية ميعملوش فرح زينا بس عشان مدسوسين وخايفين ليتاخد حد منهم". فيِ حالة الصلح ترفض النساء إقامة مراسم الزفاف حزنًا على القتيل، وتلتزم بارتداء الملابس السوداء وعدم المشاركة في مراسم الزفاف من تصفيق وإظهار الفرح وزغاريد. وهذا ما أكدته الحالة (٤) "بنتي عملنلها فرح ويعتبر الفرح الوحيد اللي حضرته هو فرح بنتي من يوم ما بدأ التار عندنا وتوفى ابني، أخويا اتجوز مروحتش فرحه، يومها كنت واخده قرار في فرح بنتي هلبس الإسود كنت عاملة فستان إسود وجبت طرحة سودة وجزمة سودة".

بعد الأخذ بالثأر يختلف الحال تمامًا، فتبالغ النساء في إظهار مظاهر الفرح والسعادة، وهذا يدل على أنَّ النساء لا تحتفل بالزفاف في حقيقة الأمر؛ بل تحتفل بالأخذ بالثأر. وهذا ما أكدته الحالة رقم (٣) "بعد ما خادنا بتارنا عملت فرح ابني الصغير نور عنيا، الفرح اللي حضرته من بعد المرحوم، وجتها كنت حاسة أن السنين معدتش، وأن استنيت على تارنا لحد ما كبر حبيبي اللي ريح قلبي، حضرت وسجفت وغنيتله هو وعروسته اللي نجاها، وزغرطت مع الحريم ولولا تعبي كنت اتحزمت ورجصت كمان".

تأتي المواليد في عائلات الخصومة الثأرية في صعيد مصر لإحياء ذكرى القتيل أو لتمجيد موقف القاتل الآخذ بالثأر. وكأنه كُتب عليهم أن يحيوا ليجددوا الحزن في النفوس وأن يدفعوا ثمن أفعال غيرهم. تحرص النساء من وليات الدم على أن تُسمى المواليد خاصة الذكور منهم على اسم القتيل في الخصومة الثأرية، وذلك حتى لا ينسى أولياء الدم ثأرهم، وهذه الممارسات أحد أهم ممارسات النساء لتحريض الذكور على أخذ الثأر؛ بل والإسراع في أخذه. فتسمية المولود الحديث في العائلة على اسم الفقيد سيتكرر عند النداء عليه وسيظل خالدًا، وسيظل يرافق أفراد العائلة في الأفراح والأحزان وتفاصيل الحياة اليومية، وكأنَّه تعويض عن الفقيد وذكرى تجدد الحزن عليه، ويذكرهم دومًا بالأخذ بالثأر.

وأكدت الغالبية العظمى من المشاركات في الدراسة الميدانية ذلك، وذكرت حالة (١٥) "اسم أول عيل بياجي بيتسمى على اسم اللي راح، لجل مكلنا نفضل فاكرين ونحي اسم اللي راح من تاني. يعني البت تسمي على اسم أبوها وأخوها ولو مرته وفاتها وهي حامل تسمي على اسمه". وذكرت حالة (٢) "بنتي سمت على اسم الغالي ومن غير ما أقول، وجتها روحي اتردت فيا حسيت الغالي اترد لحضني تاني". وذكرت حالة (٧) "مرت عمي شرطت على بنتها وعليا لو خلفنا صبي يتسمى باسم المرحوم عمي ليكون اسم عمي باقى وسطينا من جديد، ونفضل فاكرينه حتى لو عدى ١٠٠ سنة على تارنا هناخده يعني هناخده". وأيضا أكدت الحالة (٨) "سمينا على اسم الغالي لجل ما نحييه تاني".

وذكرت حالة (٣) "ابني الكبير سمى اسم أبوه ولما مرات الصغير تجوم بالسلامة هيسمي هو التاني على اسم أبوه".

ورفضت الأقلية من المشاركات في الدراسة الميدانية إعادة تسمية المواليد الذكور بأسماء المتوفين خاصة في حوادث الثأر؛ وذلك لخوفهن الشديد أن الاسم يصبح مثل الفأل السيئ الذي سيرافق الطفل حتى يلقى مصيرًا مشابهًا، وأيضًا حتى لا يظل الجرح ينزف طول العمر والحزن يسكن البيت، ولعل روح القتيل ستتجدد في الطفل وربما يصيبه بمكروه. وهذا ما أوضحته الحالة (١١) "لا منسميش أبدًا على اسم الجتيل، اسم الله على الأسامي". وذكرت الحالة (١٤) "نخاف نفول على العيل الصغير، ولو سمينا هنحزن نفسنا ألف مرة طول العمر".

وبخصوص مظاهر الاحتفال بالمواليد الجدد ترفض النساء وليات الدم إقامة السبوع أو العقيقة حزنًا على القتيل وتعزيزًا للأخذ بالثأر، كما ترفض النساء من عائلات القاتل القيام بذلك خوفًا أن ينال من الرجال أوقات الاحتفال. وهو ما أكدته حالة رقم (١) "لا فيه سبوع ولا دج هون ولا حتى عقيقة ودبح كل اللي حصل وعملناه رشينا شوية ملح من سكات وحطينا جنب العيل مصحف ولجمة وسكينة وبس، لا فيه فرح ولا هيصة".

يفضل بعض المشاركات في الدراسة الميدانية أن يُؤْخَذ بالثأر سريعًا دون الانتظار للأعياد والمواسم والمناسبات. وهذا ما أكدته الحالة (١) "الحريم بتبجى أصعب من الراجل في التار، يعني لازم تاخد بتارها عشان تفرح وتهيص وتطبخ وتفرج، ومحصلتش إن واحدة يبجى تارها بايت بره بيتها وتعمل فرح ولا تفرح بعيد ولا حصيد، ووجت ما يجي التار في فرح في مناسبة ولا في يوم عادي ميهمش المهم إدينا تطول تارنا". وذكرت الحالة (٨) "شباب العيلة طلعت علطول مستنوش يشاوروا حد، أصل مش تارنا لوحدنا ده تار العيلة كلها".

أكدت الغالبية من المشاركات على حرصهن وتشجيعهن لرجال العائلة أن يُؤْخَذ الثأر في أثناء الاحتفالات في الأعياد والمواسم وخاصة في مناسبات الزواج، فكثير منهن يفضلن ألا يأتي عليهم عيد أو احتفال من دون أن تكون تمت عملية الأخذ بالثأر، ليصبح العيد عيدين واحتفالها احتفالين. وهذا أكدته حالة (٣) "المواسم أحسن وجت لاخد التار، يعني يوم الفرح ممكن يطخو عريس على كوشته، إنما تارنا خدناه والعيد داخل علينا عشان يبقى أول عيد عيدناه من بعد المرحوم". وتذكر حالة (٧) "مفيش مواسم ولا احتفال طول ماخدناش بتارنا، وربنا يكون رايد يعوضنا ويبرد جلبنا لو خدنا تارنا منهم في أفراحهم ونجلبها لهم لعديد وندب يبجى أحسن".

(٢) الملابس.

تظهر الملابس بوصفها أحد أهم آليات التحريض التي تستخدمها وليات الدم في التحريض على الثأر وإشعال حمية الرجال في ممارسات الحياة اليومية، والتي تظل ترتديها إما لإتمام الأخذ بالثأر،

وإما لبقية العمر حزنًا على القتيل، ومن أهم تقاليد النساء بخصوص ملابس القتيل أنها لا تمس أو تستخدم متعلقاته من شخص آخر. وأن تظل محتفظة بالملابس التي قتل فيها من دون غسيل لها. وأجمعت جميع المشاركات في الدراسة الميدانية على شكل ولون ثابت لملابس النساء عند وقوع حوادث الثأر، وأيضًا ملابس معينة للرجال والأطفال. كما أجمعت المشاركات في الدراسة الميدانية على ضرورة لبس الملابس السوداء حدادًا وحزنًا على القتيل، تتعمد وليات الدم خاصة أن ترتدي الملابس الرثة القديمة السوداء. ولا تعتمد وليات الدم على ارتداء الملابس السوداء خارج المنزل فقط، ولكن داخل المنزل أيضًا حتى لحظات الخلود إلى النوم، ولا يقف الأمر عند الشكل ولون الملابس فقط؛ بل قد ترتدي ثلاثة جلابيب سوداء وحتى أربعة بعضها فوق بعض.

ذكرت حالة (١٣) "فضلت لابسة إسود في إسود بره البيت وجوه، كنت ألبس تلت جلبيات فوج بعض سود، في وجت اللي حصل قعدت شهور ألطخ هدومي بالطين واجلعها، وألبس تاني وألطخهم". أما عند الخروج تلتزم معظم المشاركات بارتداء جلباب أسود وتضع على رأسها ٣ شيلان سود وعليهم البردة السوداء. وحين تقرر ارتداء الأسود لآخر العمر تعمد إلى أن تصبغ ملابسها البيضاء والألوان باللون الأسود. وذكرت حالة (٢) "٧ سنين مجلعش الخلاجات السودا جوه البيت وبره، وفضلت لابسة التطريحة من راسي لرجلي وغطيت وشي بحتة شاش إسود". اللون الأسود ليس الفيصل في ملابس النساء، ولكن لا بد أن تكون العباية واسعة ومن دون قصات وتفاصيل في التصميم كثيرة لتكون ملائمة للظرف الصعب التي تمر به الأسرة عامة، والنساء وليات الدم خاصة. هذا أوضحته حالة (١) "فضلنا لابسين الأسمر بره البيت وفوجه البرده وجوا البيت نلبس أسمر أو غامج، وكنا نلف على راسنا أكتر من شال أسمر، حتى بعد ما خدنا بتارنا بيت عمي مخلعوش الأسمر ومرت عمي حتى بتنام بيه وهتفضل عليه العمر كله، لكن بيتنا هنا بعد ما خدنا بتارنا وعدى ٦ شهور جلعناه بس بنلبس ألوان غامجة، والعباية السمرا تبجي من غير جصات كتير، واللبس الأبيض ميظهرش ده يبجي عيبه". وذكرت حالة (٧) "فضلت من يوم عمي لحد النهارده لابسة أسمر، وحتى في البيت بفضل بعباية البيت سمرا ومتبجاش فيها جصات كتير ولا خيط كتير وتطريز وواسعة، ولما بنزل بلف الشال والطرحة السمرا على راسي وفوجيها البردة".

كما كشفت الدراسة الميدانية أن بعض النساء من وليات الدم يصبغن ملابسهن وملابس بقية أفراد الأسرة باللون الأسود نوعًا من الحزن، ولأنها ستظل ترتديه لبقية العمر. ولتشجيع رجال العائلة على إتمام الأخذ بالثأر. وهذا ما أكدته الحالة (١٢) "صبغت من بعد اللي حصل الخلج كله إسود، حتى خلجات العيال البيضا". ولا تقتصر الملابس عند النساء على العبايات السوداء، وإنما الأمر امتد في تعبيرهن عن الحزن وضرورة دفع الرجال للأخذ بالثأر إلى المشي حفاة القدمين من دون أحذية. وهذا ما أوضحته حالة (٥) "أمهم وسلايفي كانوا يلبسوا الأسمر جوه البيت وبره ويخرجوا حافيين يروحوا

الغيط ويرجعوا"، وذكرت حالة (١٠) "كنا نلبس إسود في إسود زي كده منجلعهوش لحد ما يتاخد التار ونمشي حافيين".

أمَّا حتى في حالة الصلح لا تتخلى النساء عن ارتدائهن الملابس السوداء، خاصة لو كانت الأم أو الزوجة. وهذا ما أكدته الحالة (٤) "وبعد ما رجعت من العمرة فضلت لابسة إسود ولا لونت وغالبية دولابي إسود، اللبس لسه إسود وغوامج حتى يوم فرح بنتي".

ولكن قد يختلف الأمر بعد إتمام عملية الأخذ بالثأر إذ يرتدي البعض من النساء ملابس ملونة والأخريات يفضلن البقاء على الملابس السوداء طول العمر خاصة لو كانت الأم أو الزوجة. وأكدت الشواهد الميدانية أن غالبية النساء من وليات الدم تتعمدن أن يرتدي الرجال ألوان جلابيب معينة حتى يُؤْخَذ بالثأر، إذ يرتدي الرجال الجلباب ذا اللون الغامق، فيرتدون الجلابيب المائلة للسواد كالبني والكحلي، ولا يرتدون الملابس والجلابيب ذات اللون الفاتح. وهذا ما أكدته حالة (٢) "أبوه وأعمامه فضلت جلاليبهم غامجة بني وكحلي، حتى غيراتهم البيضا لبسوها غوامج"، وذكرت حالة (١٣) "الرجالة بتلبس الغامج، حتى العِمَّة لازم تكون غامجة أو سودا"، وذكرت حالة (١٥) "لا جلابية فاتحة ولا بيضا، الرجالة متلبسش الفواتح مين ليه نفس، الكل حزين وبيفكر ومشغول".

وآلية للتحريض على الثأر تعمد النساء بألا يرتدي الرجال الملابس البيضاء ولا حتى تظهر لهم أمام أعينهم، فتظل تحاصرهم بالملابس ذات الألوان الداكنة. ولا يُفصل جلابيب جديدة للرجال حتى يُؤْخَذ بالثأر. توضح الحالة (٦) "الخلجات البيضا بتاعت الرجالة مبتزهروش في الظروف الصعبة دي"، وذكرت حالة (١٢) "ولا نزهر الأبيض ولا يلبسوه، صبغنا كل الخلج إسود".

تتجنب النساء وليات الدم استخدام ملابس بيضاء أو ذات ألوان فاتحة للأطفال، ولا تُشترى ملابس جديدة لهم نوعًا من مشاركة الأطفال للحزن ومعايشتهم له. وهذا ما أكدته حالة (١٢) "العيال متلبسش أبيض ولا فاتح، لبسهم بيبجى غامج"، وذكرت حالة (١٠) "منجيبش لبس جديد للعيال الصغيرة طول ماخدناش بتارنا". وحرص بعض المشاركات على ارتداء الأطفال للجلباب والشال تقليدًا للكبار من الرجال ليستشعر الطفل أنه جزءٌ من دائرة الثأر، إذ فرط فيه الكبار فهو سيستعد ليأخذ مكانهم. وهذا ما أكدته أيضًا حالة (٨) "بنلبس العيال الصغيرة جلابية وشال، زيهم زي رجالة العيلة".

(٣) المهام المنزلية.

كشفت الدراسة الميدانية أن الاهتمام بنظافة المنزل والمهام المنزلية من مهام النساء في صعيد مصر، وقد ترفض الغالبية العظمي من النساء وليات الدم أن تقوم بهذه المهمة، وذلك لتعلن عن حزنها الشديد وتزيد من حمية الرجال لأخذ الثأر. وقد تتولى غيرها القيام بتلك المهمة مساعدةً لها وتقديرًا للحزن الشديد الذي تمر به النساء. تؤكد هذا حالة (١٢) "البيت اتنضف بعد الأربعين وحد غيري

اللي نضف، أخري شوية صحون أغسلها مطرح وكل العيال". وقد تصل مظاهر عدم الاهتمام بنظافة المنزل بعدم الاكتراث بنفض التراب عن مواضعه، وعدم الحرص على الترتيب الدائم والمستمر، وعدم مسح البيت بالماء حتى يمضي الأربعين أو يُؤْخَذ بالثأر أيهما أقرب لهن. ذكرت الحالة (١) "الحريم لا تنفض ولا تمسح، مين ليه نفس يا دوب تغسل الوعايتين والكوبايتين مطرح الوكل، والبيت كان يتساب بترابه". وذكرت حالة (٩) "ميتنضفش الدار ولا يتمسح طول متخدتش التار"، وذكرت حالة (٢) "جعدنا شهور منضفش البيت، التراب سكن معانا البيت وجاسمنا فيه، كنت أعمل الحاجات الضرورية والبسيطة". وذكرت حالة (٧) "لكن جوه البيت الكل حزين لا نضفنا ولا مسحنا، البيت آخره لو روجنا من على الوش إكده وغيرنا سرير غسلنا صحن الوكل". وذكرت حالة (٣) "البيت فضلت مدة سيباه بطينه لكن بعد سنة كده نفضت بس على القد".

ويعدُّ إعداد الطعام أحد أهم ممارسات الحياة اليومية التي تمتلكها النساء لتعزيز ظاهرة الثأر في صعيد مصر. تلك الممارسات من رفض بعض النساء وليات الدم للطعام وتفضل الصوم منذ لحظة حدوث الواقعة ولمدة تصل لشهور تأكل فيها القليل والقليل من الطعام. وهذا ما أكدته الحالة (٥) "حماتي صامت عن الوكل مبجتش بتاكل أو تشرب زي الأول، حتى الدوا وجفته لحد ما تار عيالها التنين ياجي، ربنا يصبرها أم ومرة واحدة اتخطف منها ولادها". كما أوضحت الغالبية العظمى من المشاركات في الدراسة الميدانية أن النساء قد يمتنعن مِن وليات الدم عن إعداد أنواع محددة من الطعام تدل في نظرهم على الفرحة لأنها وببساطة تقدم في الأعياد والمناسبات السارة، فيمتنعن عن إعداد الطعام ذي اللون الأحمر، والمسموح فقط في الطعام هو ذو اللون الأخضر. فما يُعدّ من طعام هو العدس والملوخية والبصارة والبطاطس من دون طماطم والويكا والفول النابت، ويحرم طبخ اللحوم والدواجن والأسماك والرقاق والمحاشي، وعدم خبز العيش الشمسي والاكتفاء بخبز العيش الأسمر بردة، وعدم طبخ الطواجن خاصة فخارة اللحم المكون من اللحمة والبصل، ولا السخينية وهي من أكلات عيد الأضحى في محافظة قنا، ولا المصبوبة التي تقدم في الصباحية للعروس الَّتي تكون عبارة عن رقاق مشرب باللحم والبصل.

وهذا ما أكدته الحالة (٣) "مطبختش اللحمة والفراخ ولا طبخت أي تجلية حمراء، واكلنا وطبخنا يوم ما اخدنا بالتار". وذكرت حالة (٩) "ميطبخش في الدار لحمة ولا أكل بصلصة حمرة ولا يتخبز فطير". وذكرت حالة (١) "مينطبخش التجلية ولا أي وكل بالطماطم ويبجى لونه أحمر حتى البطاطس الحمرا منطبخهاش، كنا حزانا وملناش نفس لوكل، ومدجناش اللحمة ولا الفراخ عيشنا على الفول والبصارة والعدس كنا صايمين صيام المسيحيين، حتى لو كان تارنا طول كنا منستحجش الزاد والوكل ولا اللحمة، حتى الخبيز كل اللي خبزناه العيش أبو ردة لكن مخبزناش العيش الشمسي". وذكرت حالة (٢) "مطبختش ولا البيت دخله ريحة وكل لمدة سنة، أصل الوكل فرحة وبعدين إحنا أغلب

أيام السنة عندنا صيام فمطبختش اللحمة والفراخ ولا طبخت الفتة ولا رقاق كنا عايشين على المش والشلولو والفول النابت". وذكرت حالة (١٢) "منطبخش ولا دسيت في الفرن، كنا ناكل جبنة فول عدس ومناكلش اللحمة والفطير والمصبوبة والسمك، ناكل رز عادي المعمر لا، وملوخية وبطاطس وصحن ويكا، ونجعد مانفوحش في البيت ريحة الوكل". وذكرت حالة (١٠) "الحاجات الخضرا تتاكل الأحمر لا، الرقاق والمحشي ميتاكلش البصلة التجالي".

وقد تعتمد النساء على طعام أُعد منزليًّا، أي تطبخ من الطعام المتاح في البيت ولا تشتري، ولا تكتفي النساء بهذا في حزنها؛ بل لو حدث وخبز الجيران وعلمت تحدث قطيعة بينهم. وهذا أكدته حالة (١١) "ناكل من الزرعة اللي زارعينها أو الطيور اللي مربينها لكن منشتروش". وذكرت حالة (٧) "مطبختش ولا كلنا لحمة ولا خبزنا في البيت بناكل الناشف والجبنة القديمة وعسل إسود، ولا جيرانا يطبخوا القريبين حوالينا ولا يخبزوا ولو عرفنا انهم طبخوا نقاطعهم يعني كأنهم شمتانين وفرحانين في خراب بيوتنا". وقد تلجأ النساء من وليات الدم لبعض الحيل حتى تضغط على الرجال للأخذ بالثأر ففي بعض الأحيان تعد النساء الطعام، ولكن ترش الملح عليه بشكل زائد يصل لدرجة إفساد الطعام وتظل تردد بعض الكلمات لتضغط على رجال العائلة. هذا ما أوضحته الحالة (١٤) " كنت أشوف أمي ترش الملح بزيادة على الوكل لجل متخسروا وتجول لخواتي خسارة فيكم اللحم والوكل، ليكم نفس تاكلوا وتتهنوا وأخوكم بايت في الخلا".

إلا أن الوضع يختلف في حالة الأخذ بالثأر فالحياة تعود تدريجيًّا، وتعود النساء لطبخ اللحوم والدواجن وإعداد ما لذ وطاب مكافأةً لهم على أخذ الثأر. وهذا ما أكدته الحالة (٣) "بعد ما خدنا بتارنا نصبنا وطبخنا وأكلنا وزغرطنا".

وكشفت الشواهد الميدانية أن النساء من وليات الدم في العائلات ذات الخصومة الثأرية يمتنعن أيضًا عن إعداد الحلوى والخبيز خاصة الحلوى التي تقدم في الأعياد والمناسبات. فتمتنع النساء عن خبز الفطير وخبيز العيد (الكحك والبسكوت)، وتسالي العيد (الترمس والمكسرات) وفطيرة الصينية خاصة في محافظة قنا التي تحشو بالسكر والسمن وجوز الهند والمكسرات والزبيب، والامتناع عن إعداد البليلة والمبروم، وهما حلوى الإفطار في العيد. وحتى لو طلب الأطفال الحلوى يشترونها ويتناولونها خارج المنزل. وهذا ما أكدته الحالة (١) "الحلو ميدخلش البيت ولا حتى في إيد العيال الصغيرة"، وذكرت حالة (١٢) "ولا خبزنا الكحك والبسكويت للعيد ولا فايش"، وذكرت حالة (٧) "العيال لو نفسها في فطير ولا حاجة حلوة يروحوا لجماعتنا بعيد أو أديهم فلوس يجيبوا الحلو من الدكان ويكلوه بره"، وذكرت حالة (٣) "ولا كنت أدّخل البيت حلو ولو أخواتي ياخدوا العيال وأكلوهم حلو أو يجبولهم أرواح أو في العيد كحك وبسكويته كنت أضرب عيالي، يوم ما عيالي اتجوزوا مدخلتش الكحك والبسكويته مع عرايسهم"، وذكرت حالة (١٣) "لا أكلت ولدي الحلو ولا خبزت ولا حتى صباح العيد شرب البليلة ولا كل المبروم من بعد أخوه".

(٤) اهتمام النساء بأدوات الزينة والتجميل.

أجمعت المشاركات أنهن لا يكترثن بالاهتمام بالنظافة الشخصية، فقد تكتفي بالاستحمام مرة أو مرتين بالأسبوع ولا تستخدم منظفات (صابون) ذات رائحة نفاذة، وذلك لحزنها الشديد على "الخراب" -كما يطلقون عليه- الذي حلَّ عليهم وعلى أسرهم، وأكدت المشاركات أنهن لا يَقُمْن بأي مظهر من مظاهر النظافة الشخصية للوجه والجسد وتكتفي بالاستحمام فقط. هذا ما أكدته الحالة (٢) "ولا أقدر أبص لنفسي في مراية حتى، أصلها تبقى عيبة"، وذكرت الحالة (٦) "في بيت عمي كانوا يشيلوا من الأرض ويحطوا على دماغهم ووشهم طين وزهرا نيلي زرجا"، وذكرت حالة (١) "الواحدة منينا متبصش لنفسها خالص، ولا تعمل وشها ولا جسمها ولا تتكحل ولا تتحنى ولا تحط ريحة ولا تتبخر، ولا حتى تحط سمن على وشها لجل تطريه"، وذكرت حالة (٥) "الست مبتهتمش بنفسها وبشكلها ولا بوشها ولا بجسمها حماتي وسلايفي كانوا بيمشوا حافيين برا البيت وجوه البيت"، وذكرت حالة (١٢) "واحدة هنا بعد موت أخوها طينت نفسها، حلجت شعرها، وجعدت سنتين مبتستحماش".

فغالبية المشاركات من وليات الدم يقصصن شعرهن؛ بل ويحلقنه، خاصة لو كان الفقيد هو الزوج، وذلك حزنًا عليه ورفضًا للارتباط بغيره. وهذا ما أكدته حالة (١) "لو راجلها ولا ابنها تجص شعرها خلاص حزنت هتخليه على إيه بجي بتبجى زي الشاب اللي قاصص شعره"، وذكرت حالة (٨) "مرت ولدي جصت شعرها بعد ولدي، بس في ستات في الصعيد ممكن تحلج شعرها الستات الكبيرة بتاعت زمان". أما الرجال في عائلات الخصومة الثأرية وفور وقوع القتيل لا يحلقون ذقونهم نوعًا من الحداد والحزن، ولا يَقُصُّونَ ولا يَحْلُقُونَ شعر الرأس إلا بعد مرور أربعين يومًا، أو بعد أخذ الثأر. وهذا أكدته حالة (٢) "أبوه وأعمامه جعدوا شهرين ميحلجوش دجنهم حتى"، وذكرت حالة (٣) "الرجالة بتلبس الغامج ولا تجص شعرهم حتى أربعين يوم ولا يحلجوش"، وذكرت حالة (٤) "الرجالة بيربوا دقنهم حداد"، وذكرت حالة (٧) "الرجال ولا يحلج راسه ولا دجنه لحد مناخد بتارنا"، وذكرت حالة (١٠) "الرجالة تجعد ٤٠ يوم ميحلجش دجنه أصل هيحلجها ليه فرحان مثلا"، وذكرت حالة (١٢) "لحد ما يجيبوا التار والدنيا ترتاح ويحلجوا".

كشفت الشواهد الميدانية استخدام النساء من وليات الدم للوشم من أجل تحريض رجال العائلة على الأخذ بالثأر، خاصة لو كان القتيل هو زوجها، بأنَّها تسعى لتخليد ذكراه برسم الوشم سواء بصورته أو اسمه على جسد أبنائه أو جسدها. فمحاولتها هنا في استخدام الجسد بصفته آليةً ضاغطةً وقاهرة وملزمة للفرد، إذ إن الوشم سبيل الخلاص منه هو إزالته بالدماء، مثل الثأر فسبيل الخلاص منه هو الدم أيضًا. وهذا ما أكدته الحالة (٣) "روحت عند بتاعت الدق ودجتله اسم أبوه على كتفه عشان مينساش أبوه أصله مشفهوش، أبوه راح وأنا لسه حامل فيه، وعملتله زي قبة صغيرة كده في

البيت وكنت أجوله جبر أبوك أهو وكنا نرفع القبة وندس تحتها السلاح".

اجتمعت المشاركات في الدراسة الميدانية على عدم استخدامهن لأدوات التجميل والزينة؛ مثل: الحنة، وكريمات الوجه والجسم، والكحل والمكياج والروائح للبعض. فكلهن رفضن تلك الأدوات لأنها من مظاهر الفرح والسعادة والاعتناء بالنفس، والنساء في الثأر يكن في أسوأ أحوالهن النفسية والصحية والجسدية، ولا يكترثن باستخدام أدوات التجميل والزينة وارتداء الحلي من الفضة والنحاس؛ مثل: ارتداء الحجل (الخلخال) في القدم. وهذا ما أكدته حالة (٣) "ولا اتكحلت ولا اتحنيت"، وذكرت حالة (٢) "ولا حتى حطيت كحل إسود في عيني". وذكرت حالة (٤) "الست كمان متعملش حاجة خالص لا في وشها ولا حاجة خالص في جسمها، وحتى لو جوزها عايش متجربش لنفسها خالص جعدت أنا أربع سنين محطتش كريم في وشي ولا كحل ولا حنة ولا مناكير". وذكرت حالة (١) "الحريم تجلع الحجل من رجلها وتلبس عقد الحزون".

إلا أن بعد الأخذ بالثأر تختلف تلك الرغبة؛ حيث تزداد رغبة النساء في التزين واستخدام جميع أدوات التجميل والزينة وارتداء الحلي، وهذا ما أكدته حالة (١٤) "لو بصيتي في وش الواحدة مننا من غير ما تتكلم هتعرفي كويس بيتها أخد التار ولا لسه، التار أخدانه ينور الوش، بنرجع عرايس من جديد".

وكشفت الدراسة الميدانية أن جميع المشاركات من أطراف الخصومة الثأرية في العائلتين وطوال مدة الثأر لا يرتدين الذهب، فالذهب مرتبط في أذهانهن بالفرح والسعادة والمناسبات السارة. إلا أن النساء في حوادث الثأر هن أكثر من يتألم لأن خسائر الثأر فادحة أقلها الفقد وأكبرها هو خراب وتوقف تام للحياة طوال العمر. حيث أكدت حالة (٢) "جلعت دهبي كله إلا الحلج والدبلة بس غطيتهم بشاشة سودا لفيتهم حوليهم." وذكرت حالة (١٣) "جلعنا الدهب أصله فرحة والحلج دساه تحت الطرحة والشال ولفه عليه شاشة سودا". وذكرت حالة (١) "الصيغة تتشال لحد الدم ميبرد ويتاخد بالتار، ولا حتى مرة تدس حلج من تحت الشال"، وذكرت حالة (٣) "جلعت الدهب كله وشيلته فوق الدولاب لحد ما أديته لمرت ولدي الصغير اللي أخد بتار أبوه". أما في حالة الصلح أو إتمام الأخذ بالثأر تعود النساء لتتزين بحليها من الذهب. وهذا ما أكدته حالة (٤) "الذهب دلوجتي بلبسه لكن وجت المرحوم جلعته كله، لكان لازم ألبس لأن عندنا في البيت لازم نلبس دهبنا بنام ونصحى بيه فلازم".

(0) العلاقات خارج نطاق الأسرة.

يؤثر الثأر على طبيعة العلاقات الاجتماعية للأسرة خاصة الخارجية منها أي خارج حدود العائلة، فالثأر يصنع حول الأسرة سياجًا شائكًا لا يمكن تجاوزه. فتظل الأسرة سجينة الثأر، تخاف أن تتواصل مع الأفراد خارج هذا السياج، تخاف الكلمات والنظرات، حتى التفاعل والتواصل محسوب بدقة فائقة. كما أن حزن الأسرة لا يجعلها تسعى لتوطيد جسور الترابط بمن خارجها.

علاقات الجيرة علاقات كاشفة لأوضاع الأسر وقوة تماسكها، كما أنها صمام الأمان في كثيرٍ من الأحيان في المجتمعات المحلية الصغيرة والمغلقة. فالثأر أحد أهم العوامل التي تصيب تلك العلاقة بالفتور والضعف، وأوضحت جميع المشاركات في الدراسة أن الثأر يؤثر في علاقات الجيرة خاصة فيما بين النساء. فالأسر أصحاب الخصومات الثأرية لا تتفاعل مع الجيران إلا في أضيق الحدود، إما خوفًا من إشعال نيران الثأر من جديد، وإما خوفًا من المعايرة الاجتماعية والنظرات القاسية إذا تأخر إتمام الأخذ بالثأر، وإما حرصًا على سرية الأوضاع داخل الأسرة، وإما خوفًا على الجيران أنفسهم أن يصيبهم ضررٌ في تلك الخصومة وأن تنالهم نيرانها.

وأوضحت المشاركات أن الجيران أنفسهم لا يسعون وقت الثأر لتوطيد العلاقات مع الأسر، مدركين خطورة الأمر وصعوبة التواصل واستحالته كما كان. وهذا أكدته حالة (١) "وجت التار بيبجى كلام الحريم على الجد مع الجيران وكل واحد في حاله أحسن لنا ولهم". وذكرت حالة (٢) "بعد ما سيبنا البلد ملناش خلطة بحد في حالنا وكلامنا جليل ومحسوب". وذكرت حالة (٣) "مفيش كلام وحديت مع الجيران على الجد أصل الكلام وخبص النسوان يجوم نيران". وذكرت حالة (٨) "كلامي جل مع اللي حواليا ماليش نفس أتساير واتحدت، نخاف نفتح مشاكل بعد ما تكوينا باللي صابنا". وذكرت حالة (٧) "الجيران يخافوا مننا طول ما عندنا تار ولسه مهديش ليطخوا معانا، وإحنا حتى بنتعامل معاهم بخوف وحذر، لكن لما تارنا يتاخد ويهدي نرجع ونكلمهم ويرجعوا يجونا".

في حال الصلح أو إتمام الأخذ بالثأر، تعود العلاقة بين الجيران والأسرة كما كانت في سابقها. وذلك لأن أسباب ضعف العلاقات تلاشت واختفت. وهذا ما أوضحته حالة (٤) "لا كنت باتكلم عادي جدًّا أولًا لإني جوية وعفيه، وبعدين لحنا أول الناس ولا آخرهم اللي جبلوا الصلح، وربنا يعلم إني خوفت على شباب العيلة الصغيرة ليتصابوا وأخسرهم، كلهم ولادي".

تعد المجاملات أحد أهم مظاهر رأس المال الاجتماعي الذي تكونه النساء وتحافظ عليه في المجتمعات المحلية الصغيرة، فهي من عوامل تقوية العلاقات. تنشأ لتقوية العلاقات من خلال المجاملات كونها تبادلية وتحمل في طياتها مقاصد صريحة وأخرى خفية. ففي بعض الأحيان يتضح أن المقصد الخفي للمجاملات ينبع من إيجاد سيطرة تراتبية اجتماعية تخافها الأسر والنساء خاصة وقت الخصومات الثأرية. كشفت الدراسة الميدانية أن الغالبية من وليات الدم يرفضن التواصل في المجاملات للحزن الواضح والمعروف، فيخفن نظرات المعايرة في العيون، فيرفضن أن يُجاملن ويرفضن اقتحام الآخرين لأسرتهم. وهذا ما أوضحته حالة (٢) "لا كنا بنجامل حد ولا حد بيجلنا ولا جبلت أي زيارة كنت أرفض، وجت فرح بنتي جولت اللي عايز يجاملها في بيتها، ويجاملها هي أنا مليش دعوة خالص". وذكرت حالة (٣) "لا كنت بروح ولا باجي إلا لو فيه حد مات كنت لازم أروح وأعزي". وذكرت حالة (١٣) "مفيش وجت التار مجاملات لا لينا ولا علينا، ولا يندخل علينا ولا ندخل بزيارات أو فلوس، التار

بيخلي الحياة واجفة، الكل يخاف يجرب لينا".

تقبلت أقلية من المشاركات في الدراسة الميدانية المجاملات، ولكن بحدود معينة أن تكون بنقود وليست زيارات، أو أن ينوب مكانهن أحد ليخفف من وطأة الموقف في أثناء حزنهن. وهذا ما أكدته حالة (١) "نروح نجامل بس من غير زيارة ولا حد يدخل علينا بزيارة وجتها ربنا يصبر جلوبنا، لكن المجاملات غصب عننا ده واجب ندي فلوس فيها لكن منروحش محملين". ذكرت حالة (٧) "المجاملات مفيش ولو ضروري نبعت فلوس لكن لا حد يجيلنا بزيارة ولا نروح لحد".

السوق أحد مجالات التفاعل الاجتماعي، يتسم بكثافة العلاقات بداخله. تعمل الأسواق بوصفها ميكانيزمات لحفظ التوازن بين الأفراد في صعيد مصر. والنساء هن أكثر فئات تلك المجتمعات ارتباطًا بالسوق لتلبية المتطلبات المنزلية. إلا أن جميع المشاركات في الدراسة من وليات الدم يحجمن خروجهن إلى السوق في أضيق الحدود في أثناء الثأر، وعلى قدر احتياجاتهن. أو ممكن أن ينوب عنها بناتها أو زوجات أبنائها أو غيرهن من النساء القريبات لدائرة العائلة. وأكدت حالة (١) "تخرج تجيب طلبات بيتها في أضيق الحدود، تجيب اللوازم بس"، وذكرت حالة (٧) "بنخرج للسوج على جد طلباتنا اللازمة ونرجع طوالي لا سلام ولا حدييت مع الحريم"، وذكرت حالة (٢) "بناتي اللي كانوا يخرجوا ويسوجوا لكن أنا مخرجتش جعدت شهور الشارع مشفتهوش، ولا خطيت عتبة الدار، ولا تراب السكة جه على رجلي". وذكرت حالة (١٣) "هنا في القرية مفيش سوج بتيجي عربية كارو جدام الدار فبنطلع نشتري اللي إحنا عايزينه وندخل طوالي".

كما إن طبيعة العمل في صعيد مصر يغلب عليه في كثير من الأحيان الطابع الذكوري، إلا أن الثأر قد يحصر طبيعة العمل في مجال النساء ويربط بين مهام وأدوار معينة وبين طبيعة وأدوار الجنس الأنثوي. فكشفت غالبية المشاركات في الدراسة الميدانية من كلٍّ من عائلات الخصومة الثأرية أن خروج النساء إلى العمل في أثناء الثأر متوقف على ملكية النساء لهذا العمل وتبعيته للعائلة. فنزول النساء لمتابعة أرضهن الزراعية واجب وضروري، أما إذا لم تكن ملكية الأرض تابعة للعائلة فلا مبرر لخروجهن إلى العمل. حتى مع ملكية العمل وتبعيته للعائلة إذا وجِدَ بديل عن المرأة فلا مبرر لعملها وخروجها يكفيها ما تتحمله من حزن في المصاب الجلل. وأكدت حالة (١) "لو هتخرج تشتغل في ملكهم ماشي إنما عند حد لا، فتخرج للشغل يعني لو موظفة، ده لو رايحلها حد بتبجى موجوعة ونار التار جايدة، ولو هيتاخد من حداها راجل متخرجش للشغل بتبجى خايفة لتنخطف ولا حتى تنطخ غلط". وذكرت حالة (٢) "أنا مخرجتش للشغل والأرض جوزي والبنات كانوا بيساعدوه، إنما بجى سلفتي مصيبتها كانت واعرة جووي في جوزها وابنها، كانت تخرج للسوق وكرت أنفار للأرض وفضلت تتابعهم وجعدت فترة في الأول تباشر هي الأرض بنفسها ولما تعبت حماتي شرطت عليها تكري الأنفار وتتابعهم بس كانت أسد في وسط الأرض أصل مفيش مخرج تاني عشان البنات وتحفظ حجوجهم".

فنزول المرأة إلى الأرض الزراعية أو أن تحل محل زوجها وابنها القتيل ضرورة لمتابعة مصالح العائلة وإدارة الشئون المالية، فالمرأة في هذا الموقف تزداد صلابة وقوة؛ بل تصبح أقوى من الرجال في الصبر والتحمل، تخاف أن ينالها اتهامات من حولها بالتقصير والتراخي في حق القتيل. فتتحمل دور الفقيد ودورها وتكون بمثابة الأب والأم وتدير الأملاك وتتابع العمال، وتوجد المال لمتطلبات الحياة في الأسر الفقيرة بأي شكل. أكدت حالة (٨) "بخرج أبيع الجبن والزبدة الدنيا ضاجت علينا من بعد المرحوم ومن بعد أبوه لما أتشل وبجى جعيد". وذكرت حالة (٣) "آه الحرمة تخرج مكان جوزها تجلع وتفلح وتحش الأرض، لو عندها رجالة عيالها متخرجش، لكن لو بطولها زيي كانوا عيالي صغار وابني الصغير ده كان في بطني خرجت ووجفت على أرضنا ومالنا".

تخشى أقلية من المشاركات في الدراسة الميدانية من عائلات الخصومة الثأرية الخروج للعمل لما له من عواقب وخيمة، تصل إلى أن يصبح ثأر العائلة ثأرين ويلحق بهم العار. كشفت الحالة (٧) "مينفعش خروجنا من وجت ما جوزي ضرب الراجل وراح فيها وهرب على الجبل، الرجالة من العيلة التانية هددونا لو خرجنا إحنا الحريم هيجلعونا ملط فاللي كانت بتخرج على الجد ومن سكات في الدرا كده".

(٦) الثقافة الشعبية.

تلخص الثقافة الشعبية الحياة الاجتماعية برمتها وتكشف جميع تفاصيلها من أنماط السلوك وطبيعة العلاقات الاجتماعية، كما أنها توضح جميع ممارسات الحياة اليومية لما تمارسه على الأفراد من قوة وسلطة فوقية عليا، وتلقى تلك الممارسات استحسانًا لديهم ورضوخًا تامًّا لها. تعد الأمثال الشعبية المرتبطة بالثأر في صعيد مصر أحد أهم موجهات السلوك الاجتماعي والداعمة له؛ لكونها إحدى آليات الضبط الاجتماعي لفرضها السيطرة على سلوكيات الأفراد لكونها الأكثر تأثيرًا والتصاقًا بحياة الأفراد، وتؤدي وظيفة مهمة وهي تعزيز الثأر بوصفه قيمة اجتماعية في مجتمعات الدراسة بصعيد مصر.

لعل تأثير الأمثال الشعبية يأتي انطلاقًا من كونها كلمات رنانة مسموعة تصفد الفرد وتنتزع من داخله روحه ويصبح أسيرًا لها، فهي أشبه بأعمال السحر خاصة عند تكرار استخدامها في أوقات صعبة وحاسمة يكون فيها الفرد في أسوأ وأضعف حالاته النفسية وأكثرها هشاشة وعدم اتزان، حالة أشبه ببراكين الغضب والحزن والكره والرغبة في الانتقام والخوف من مواجهة البشر، فسرعان ما تشكل تلك العبارات السلوك المطلوب للأخذ بالثأر، وتهدأ تلك الثورات في النفوس والعودة بهم لحالة الاستقرار النفسي والفخر والتباهي باسم العائلة.

لعل المرأة في صعيد مصر هي من أجادت استخدام الأمثال الشعبية لتوجه سلوك الرجال للأخذ بالثأر والانتقام للقتيل ولاسم العائلة. أظهرت الدراسة الميدانية أن استخدام المرأة للأمثال الشعبية أحد

أهم الاستراتيجيات الخفية التي تشرع في استخدامها من لحظة وقوع القتيل وحتى إتمام الأخذ بالثأر وإقامة العزاء، يمكن تقسيم الأمثال الشعبية الخاصة بالثأر تبعًا إلى مواقف حياتية معينة تمر بها النساء والرجال عند وقوع الثأر، على النحو التالي:

أوّل وأهم المواقف لحظة وقوع الثأر وهي اللحظات الأولى التي تطالب فيها النساء من أولياء الدم الأخذ بالثأر من وراء الستار، وأن الثأر هو حماية للعائلة من العار والمعايرة الاجتماعية التي ستلحق بهم. وتظل تردد: "التار ولا العار"، و"ضرب النار بيغسل العار"، و"التار قلة واخده عار وفواته مرار". فالأخذ بالثأر ضرورة ومطلب غير قابل للتفاوض لدى النساء، ومن ثَمَّ يصبح المطلب الأساسي للرجال يسعون قدمًا لتحقيقه مهما كلفهم الأمر، حتى لو كان الثمن أرواحهم.

ولحين تأتي لحظة العزة والكرامة والأخذ بالثأر تعبر النساء من وليات الدم عن الحزن الذي استوطن قلوبهن وحول ما بداخلهن إلى مقبرة كبيرة لن تُغلق حتى يُدفن بداخلها القاتل أو من ترتضيه، كما دفن فقيدها. فتردد "اللي ليه تار لا يهنى ليه وكل ولا شراب"، وهذا إشارة إلى عمق الحزن الذي يحل على النساء ليضرب دون أن يبالي بأبسط ممارسات وملذات الحياة اليومية من الطعام والشراب وبعض العلاقات الحميمية، حتى يُؤْخَذ بالثأر.

حين يتأخر الأخذ بالثأر ويطول حزن النساء، ترى النساء أن الرجال تقاعسن عن تأدية دورهم لإخماد ما بداخلهن من نيران. يرددن "ولا ياخد تار ولا يحمي عار" لتوبيخ الرجال الذين تقاعسوا عن الأخذ بالثأر أو من يفكرون بترك الثأر وعدم أخذه فتظل النساء وراءهم تدفعهم دفعًا للأخذ بالثأر. وترددن أيضًا "اديني اللبدة وخُد الشقة"، وهذه إشارة من النساء إلى الرجال في حالة التقاعس عن الأخذ بالثأر إلى تبديل الأدوار بينهم لتأخذ هي بالثأر وتريح القتيل في مقبرته فتأخذ العمامة والسلاح من الرجل وتعطيهن الطرحة. وهذا المثل الشعبي يعدّ إهانة كبيرة تأبى الحمية الذكورية والعصبية القبلية على تقبله، وبإمكانه إشعال النيران بداخل الرجال للأخذ بالثأر. وإذا ما رغبت المرأة في تحريض الرجل على الثأر تقارن بينه وبين أبناء جنسه من الذكور ممن أخذوا بالثأر في أسرع وقت لترد "زي السبوعة بياخد بدل التار اتنين" في إشارة منها لمدح وإطراء وتشبيه من أسرع في الأخذ بالثأر كالسبع أو الأسد رمزًا إلى القوة والفخر، الذي أهدى أهله وعائلته قتيل واتنين وأكثر في أسرع وقت.

حين تقرر النساء ويبدين رغبتهن في اختيار من يأخذ منه الثأر في العائلة الأخرى فدائمًا وأبدًا يخترن الأفضل والأحسن، وهذا لا يشترط أن يكون الأفضل هو القاتل. فتردد المرأة حاكمة الدم "كلب الدار ملهوش تار"، وهو إشارة أن يتصيد الرجل قتيله من الأقوياء والأشداء. فالأخذ بالثأر لا يتم بقتل أي فرد من العائلة الأخرى أو الاكتفاء بالقاتل فقط؛ بل لا بد أن يكون الأفضل والأحسن حتى تتألم العائلة الأخرى خاصة نسائهن فيذقن من كأس الألم والحزن نفسه فتردد النساء" يعملها الأقرع ويقع فيها أبو شعر".

بعض النساء في صعيد مصر لا يتمكن من سرعة الأخذ بالثأر لأسباب عديدة؛ منها: أن القتيل هو زوجها أو أحد أبنائها الذكور، أو أن جميع أبنائها إناث، أو أبنائها الذكور صغار السن، أو أن القتيل هو ابنها الوحيد، أو رفض أبناء العمومة للأخذ بالثأر. وقتها لا تمتلك النساء سوى الصبر والانتظار، ولكنها تحيي الثأر في ذهن أبنائها وأقاربها الذكور، لتردد "التار بيبقى لولد الولد"، وهذه إشارة منها أن الثأر لا يموت ولا يسقط حتى بمرور أكثر من جيل، وإن عاجلًا أو آجلًا لا بد من أخذه. وتردد أيضًا "التار دمه لا يعفن ولا يسوس"، و"خد بتاره بعد أربعين سنة قالوله استعجلت بعد أربعين سنة أخدت بتارك ليه"، وهو دلالة على استحالة سقوط الأخذ بالثأر مهما طال الزمن، وأنه دائمًا وأبدًا حي في ذاكرة النساء ومن ثَمَّ المجتمع كله.

عند الأخذ بالثأر تفضل النساء أن يأخذ الرجال الثأر بالأسلحة النارية -وليست الأسلحة البيضاء- خاصة الآلي، لأنه أحد أشكال التباهي والفخر في مجتمعات الدراسة فيرددن "اللي معاه بارود يوقع أبو فص"، وهو كذلك دلالة على أن امتلاك الرجل للسلاح يعد رمزًا إلى قوته وشجاعته وأن يهابه الناس.

إذا ما وافق الرجال على إجراءات الصلح ورفضته النساء لأنه ضد رغبتهن في الأخذ بالثأر، فإنها تحرض الرجال لرفض الصلح لتقول "الصلح عيش وملوخية"، و"والحب على الرأس ضحك على الدقون" فالصلح بالنسبة إلى بعض النساء لن يثمن ولن يغني عن جوعهن للثأر للقتيل. أما إذا قررت المرأة أن تأخذ هي بالثأر فإنها تلقى رفضًا عارمًا، وذلك الرفض نابع من خوف أن يمس المرأة مكروهًا وتلحق بهم العار فوق الثأر، ليزداد الموقف قتامة لن يمحوها الزمن فيتردد في مجتمعات الدراسة "راحت تاخد تار أبوها رجعت حامل".

أخيرًا؛ عند الأخذ بالثأر تفرح النساء بهذا ويتبدل حزنهن إلى فرح وزغاريد وضرب أعيرة نارية وإقامة العزاء، وتخرج النساء للنور وتستقبل العزاء وتجالس الجيران والأهل وتعد الطعام والشراب وتذبح الذبائح، كل هذا وأكثر من تفاصيل حياتية. فتردد النساء "أخدنا التار وغسلنا العار".

عاشرًا- مناقشة نتائج الدراسة العامة:

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، تتمثل في:

١- النساء وليات الدم في صعيد مصر هن المحرك الأول والأساسي في حوادث الثأر، فالنساء يعززن الثأر من خلال ممارسات الحياة اليومية وبشكل خفي متكرر وملزم من وراء الكواليس. الثأر تنفيذه حكرٌ على الرجال وتعزيزه حكرٌ على الإناث. وبهذا تحقق هدف الدراسة الرئيسي في التعرف على الدور الذي تؤديه النساء في تعزيز الثأر في مواقف الحياة اليومية، التي تدعم ثقافة ظاهرة الثأر وبنيته في صعيد مصر، وهذا بدوره اتفق مع نظرية التمثيل المسرحي لجوفمان التي فسرت ممارسات المرأة الصعيدية التي تسعى لتأسيس موقع لها على خارطة الثأر من خلال ممارسات عدة تقوم بها

في الحياة اليومية؛ لتضمن إبقاء عملية الأخذ بالثأر على موقد النيران. فهي تحاول استخدام بعض الرموز والإشارات، سواء علنًا أو صراحة في التحريض مباشرة أو ضمنيًّا كإشارات ارتداء الزي الأسود، وترديد بعض الأمثال الشعبية ومواويل الندب على قتيلها.

٢- ترفض النساء الاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية والاجتماعية والزراعية بوصفه نوعًا من تحريض الرجال للأخذ بالثأر، وكذلك تكون الاحتفالات بمراسم الزفاف صامتة وحزينة. وأيضًا رفض الاحتفال بالمواليد الجدد، وإصرار الغالبية على تسمية المواليد بأسماء القتلى في الثأر تخليدًا وإحياءً للقتيل، وتحريضًا للرجال للأخذ بثأره واسترداد حقه. وبهذا تحقق هدف الدراسة في رصد الممارسات المرتبطة بالنساء في الحياة اليومية في أثناء المناسبات الدينية والاجتماعية قبل الأخذ بالثأر وبعده الذي اتفق مع مقولات نظرية النسوية والتمثيل المسرحي لجوفمان التي تتحكم فيها النساء على طقوس ورموز عالم الحياة من خلف الكواليس لتعزز الأخذ بالثأر.

٣- تفضل الغالبية من النساء وليات الدم أن تتم عملية الأخذ بالثأر في أثناء احتفالات عائلة الخصومة، حتى تتحول احتفالاتهم إلى مآتم وسرادق عزاء، وتعاني نساؤهم من الحزن أضعاف ما تحملن من همٍّ. أمَّا البقية من النساء فيفضلن السرعة في إتمام الثأر في أسرع وقت دون الحاجة إلى انتظار أية مناسبات أو احتفالات، وذلك ليرتاح القتيل من رجوع حقه، ولترفع النساء رؤوسهن عاليات في مجتمعاتهن تفاخرًا بالأخذ بالثأر.

٤- تعزز النساء الأخذ بالثأر من خلال الملابس، فملابس النساء لا بد أن تكون ذات لون أسود داخل البيت وخارجه، وملابس الرجال ذات ألوان داكنة حدادًا على المتوفى، وملابس الأطفال تشابه الكبار وتخلو من اللون الأبيض، وعدم شراء ملابس جديدة. وهذا اتفق مع المقولات النظرية لجوفمان عن مفهوم خلف الكواليس التي تهيمن عليه النساء في أبسط تفاصيل الحياة اليومية لتشكل عالم الحياة للرجال وتدفعهم للأخذ بالثأر.

٥- بالنسبة لمهام المنزل فالنساء لا تكترث بنظافة المنزل حتى إتمام الأخذ بالثأر، وتمتنع عن إدخال الحلوى البيت ولا حتى للأطفال، وتحدد نوعيات طعام بعينها هي المسموح بها في العائلة، وتحرم دخول أنواع الطعام ذات اللون الأحمر التي تقدم في المناسبات. وبهذا تحقق هدف الدراسة في التعرف على الممارسات المرتبطة بالنساء في الحياة اليومية داخل الأسرة في ظاهرة الثأر.

٦- بخصوص اهتمام النساء بنظافتهن الشخصية فطوال مدة انتظار الأخذ بالثأر لا تبالي النساء بهذا مخافة من العار الذي سيلحق بهن، وتتعمدن عدم استخدام أدوات التجميل والزينة، وعدم ارتداء الذهب والحلي حتى يُؤْخَذ بالثأر. وبهذا تحقق هدف الدراسة في التعرف على الممارسات المرتبطة بالنساء في الحياة اليومية داخل الأسرة في ظاهرة الثأر. الذي يتفق مع مقولة الهابتوس الأنثوي الثأري ومقولة التمثيل المسرحي لجوفمان.

٧- أما طبيعة علاقات الأسرة والنساء بما هو خارجها وقت حدوث الثأر تصبح محددة ودقيقة للغاية وتخلو من أية تفاعلات، فتتحول الأسرة إلى عزلة تامة وتنفصل عما خارجها، فالثأر أثر على علاقات الجيرة والسوق والعمل وحتى المجاملات. وبهذا تحقق هدف الدراسة في التعرف على الممارسات المرتبطة بالنساء في الحياة اليومية وتأثيرها على بنية علاقاتها خارج الأسرة في ظاهرة الثأر، وهذا بدوره اتفق مع مقولات التمكين في النظرية النسوية، وهي أن الثأر أحد أشكال التمكين الاقتصادي خاصة إذا كانت المرأة تنتمي إلى عائلة القاتل، وتحاول حماية زوجها من القتل فتخرج للعمل مكانه وتتولى مباشرة العمل الزراعي بنفسها؛ بل وتصل إلى نقل الزوج ملكية الأراضي الزراعية إلى زوجته ليسهل عليها مباشرتها.

٨- تجيد المرأة في الصعيد وخاصة وليات الدم استخدام عناصر الثقافة الشعبية وتطوعها للتحريض على الثأر، فتستخدم الأمثال الشعبية على القتيل لتشعل من حمية رجال العائلة لسرعة أخذ حقه. وبهذا تحقق هدف الدراسة في الكشف عن أثر استخدام النساء إلى عناصر الثقافة الشعبية ودورها في تعزيز الأخذ بالثأر، فاستخدام المرأة للأمثال الشعبية أحد أهم الاستراتيجيات الخفية التي تشرع في استخدامها من لحظة وقوع القتيل وحتى إتمام الأخذ بالثأر وإقامة العزاء.

توصيات الدراسة:

تتقدم هذه الدراسة إلى وزارة التضامن الاجتماعي والشباب والرياضة والأوقاف، بالتوصيات التالية:

١- رفع درجة وعي النساء في صعيد مصر على جميع الصُّعد، من خلال تنظيم ندوات دورية تثقيفية قائمة على برامج متكاملة لنبذ ثقافة الانتقام والثأر.

٢- وضع استراتيجيات متكاملة ومفعلة تستهدف تمكين النساء اقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا، لجعل النساء أعضاء فاعلين ومؤثرين في مجتمعاتهن المحلية.

٣- الاهتمام بالتعليم خاصة تعليم الفتيات، ومحاربة الزواج المبكر وجميع عناصر الثقافة التقليدية البالية ذات الطابع القهري على النساء في مجتمع الدراسة.

٤- صناعة خطاب ديني ذي خصوصية جغرافية بصعيد مصر يناقش قضايا العنف والثأر، والتوسع في إقامة المعاهد الأزهرية ومدارس الأحد وعظات الأربعاء بالكنائس والأديرة لنشر أفكار الأديان المعتدلة البعيدة عن التطرف، وخاصة ضرورة عودة الداعيات والخادمات لمخاطبة وتثقيف النساء دينيًّا في صعيد مصر.

٥- ضرورة تمثيل النساء في مجالس الصلح العرفية التي تتصدى لجرائم الثأر، وتمكين النساء -على كل الأبعاد اقتصاديًّا واجتماعيًّا- من وليات الدم اللاتي أوقفن نزيف الثأر وتسامحن في حقوقهن، وأخيرًا نشر هذه النماذج المضيئة والإشادة بدورهن وتكريمهن بوسائل الإعلام وفي المحافل الرسمية للدولة كافة.

المراجع

أولًا: المراجع العربية

١- أبو زيد، أحمد (١٩٦٥). الثأر: دراسة أنثروبولوجية بإحدى قرى الصعيد، دار المعارف، القاهرة.

٢- ------ (٢٠١٠). "ثقافة العنف"، مجلة العربي، ع٦١٤، ص ص:٣٠-٣٣.

٣- ------(٢٠٠٤). الثأر في مجتمع الصعيد في السياق التاريخي البنائي، المؤتمر السنوي السادس للتنمية في صعيد مصر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الثاني، القاهرة، ص ص:٩٣٥ -٩٥٦.

٤- إبراهيم، علي طلبة محمد (٢٠٠٩). الأبعاد الاجتماعية الثقافية لظاهرة الثأر لدى المرأة في صعيد مصر: دراسة ميدانية بجنوب الوادي، مجلة كلية الآداب، جامعة قنا، العدد (٢٦)، ص ص: ٢٩٩-٢٦٣.

٥- بورديو، بير (٢٠٠٧). الرمز والسلطة، ت: عبدالسلام بن عبدالعالي، ط٣، دار توبقال، المغرب.

٦- تقرير مصلحة الأمن العام (٢٠١٨). معدلات الجريمة في مصر، وزارة الداخلية المصرية.

٧- جيدينز، أنتوني (٢٠٠٦). مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ت:عدلي السمري وآخرين، ط٢،مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، القاهرة.

٨- حسين، ايمن عليو (٢٠١٧).المتغيرات الاجتماعية والفيزيقية المرتبطة بجريمة الأخذ بالثأر في بعض قرى صعيد مصر(دراسة حالة)، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس.

٩- راغب، أسماء حسن (٢٠٠٨). الثقافة التقليدية وظاهرة الثأر: دراسة سوسيوأنثروبولوجية بإحدى قرى محافظة سوهاج، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة سوهاج.

١٠- الشلقاني، هانيا (٢٠١٥). دراسة النوع (من رجل وامرأة) والعلوم الاجتماعية، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة.

١١- عبدالحميد أحمد، رأفت (٢٠٠٧). الأخذ بالثأر وبنية النظام الرمزي: دراسة في التحليل النفسي اللاكاني، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

١٢- عبد الرازق، محمود جلال (١٩٧٨). بحث في ظاهرة الثأر، الدورة الخامسة عشرة في كشف الجريمة بالوسائل العلمية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة.

١٣- عبد السميع، فتحي (٢٠١٥). القربان البديل طقوس المصالحات الثأرية في جنوب مصر، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة.

١٤- غنام، جواد عيد حسين (٢٠١٢). الأبعاد الاجتماعية والثقافية لظاهرة الثأر في المجتمع الفلسطيني: دراسة سوسيو أنثروبولوجية لقبائل محافظة الخليل، رسالة ماجستير، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة.

١٥- فهمي، مجدي أحمد (٢٠٠٣). الثأر جريمة، مطابع الهيئة العامة لمحو أمية الكبار، القاهرة.
١٦- مارشال، جوردن وسكوت، جون (٢٠١١). موسوعة علم الاجتماع، ت: محمد الجوهري وآخرين، مج الثاني، ط٢، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
١٧- مانون، كارل (٢٠١٧). مفهوم الهابتوس لدي بيربورديو، ت: طارق عثمان، ع(٩٧)، مركز نماء للبحوث والدراسات، مصر.
١٨- محمد، ماجدة عبد الغفور (١٩٨٧). صورة المرأة في صعيد مصر: دراسة نفسية استطلاعية، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
١٩- محمود، محمد علي (١٩٩٢). ظاهرة الأخذ بالثأر دوافعها وآثارها: دراسة ميدانية في قريتيْ بني حميل وجزيرة شندويل بمحافظة سوهاج، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة أسيوط.
٢٠- مدكور، إبراهيم (١٩٧٥). معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٢١- نصر، سميحة (٢٠٠٤). ثقافة الثأر بين الثبات والتغير، المؤتمر السنوي السادس للتنمية في صعيد مصر، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الثاني القاهرة.

ثانيًا- المراجع الأجنبية:

1- Bourdieu,P.(1990)The Logic of Practice, T:R.Nice, Cambridge: Polity.
2- Bourdieu,P.(1994)In Other Words:Essays Towards A Reflexive Sociology,M,T: Adam Son, Cambridge: Polity.
3- Cole, Nicki Lisa(2019) "Goffman's Front Stage and Back Stage Behavior." . https://www.thoughtco.com.
4- Goffman, Erivng (1956) The Presentation of the Self in Everyday Life, University of Edinburgh, Social Sciences Research Centre.
5- Kabeer,Naila(2001) Resources, Agency, Achievements: Reflections on the Measurement of Women's Empowerment, Discussing Women's Empowerment – Theory and Practice, Sida Studies, No.3, pp. 8–127.
6- Mohanty,Chandar .Talpade (1991)Under Western Eyes:Feminist Scholarship and Colonial Discourses, in Mohanty,C.T and Torres, R. L(eds.),Third Worled Women and The Politics of Feminism, Bloomington and Indianapolis,Indiana University Press.
7- Ortner, Sherry. B(1974)Is Female to Male as Nature Is to Culture?, Woman, Culture and Society, pp.68–87.
8- Wilson, Jacqueline. H (2014) Blood Money in Sudan and Beyond: Restorative Justice or Face–Saving Measure ,PH.D, Georgetown University.

TAWASOL
For Studies & Cultural Awareness Foundation

ERTC
The Egyptian Research and Training Center

The Egyptian Journal of Social and Behavioral Sciences

The Egyptian Journal of Social and Behavioral Sciences (EJSBS)

An International Peer-reviewed Scholarly Journal

Published Twice Per Year

ISSN: 2682 - 2725

Issue No. 7

April 2023

Chief Editor
Dr. Abdel-Hamid Abdel-Latif

Editor
Dr.Mohammed Aboelenein